أحببتها فوق العادة

أحببتها فوق العادة

رواية

للكاتب

عيسى الخالدي

الطبعة الأولى

2020م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2020/2/606)

813.03

العساف، عيسى أحمد

أحببتها فوق العادة/ عيسى أحمد .- عمان.- المؤلف ،2020.

( ) ص

ر.إ: 2020/2/606

الواصفات:/ الروايات العربية // الأدب العربي // العصر الحديث

Copyright ©

صباح جديد

في مطلع كل صباح، ينتظر كل منا نحن معشر البشر إشراقه جديدة، لتلك البائسة التي يسمونها الحياة. ومع مطلع ذلك اليوم، كنت جالس في العمل أتصفح هاتفي، وإذ بصوت عراكٍ صاخبٍ في الجوار، ركضت إلى المكان لا شعوريا، كان هناك مجموعة من الشبان يتقاتلون على شيء لا أعرفه، وبينما أنا أسعى لأفضّ العراك، تخرج رصاصة طائشة، وتستقر في جسدي، واستيقظت على صوت المنبه في هاتفي. حاولت جاهداً أن أتذكر سبب ربطي للمنبه، ولم تساعدني ذاكرتي؛ فنهضت لكي أبدأ يومي المعتاد، ما هذا الكابوس المزعج، الحمد لله أنه مجرد حلم، خرجت من قصرنا، ورحت أبحث عن جنة جديدة. فكرت أن تكون الوجهة نحو صالون الحلاقة لأخي الصغير، الذي يدعى مالك، والذي لا يمتلك شيءً في هذه الحياة، سوى نصف كرسي حلاقة، كان يعمل من أجل دفع ثمن المعسل والفحم المستخدم في صناعة الأرجيلة كانت حياته عبارة عن أرجيلة، وشيء من ألعاب الفيديو. اتجهت نحوه بغرض التزين، والتخلص من إي شيء زائد على وجهي، وعند وصولي، قام بدعوتي لتناول وجبة الإفطار؛ التي اعتاد على تناولها بنفسه فقبلت تلك الدعوة، وأخبرته إني لا أريد الجبن، وأريد عوضاً عنه علبة مشروب الطاقة (الكود رد).

وجلست، انتظر على ذلك الكرسي، الذي يمتلك نصفه أخي، وعندما انتهى من الإفطار، تقدم نحوي واخبرني بأنه بحاجه لمبلغ من المال؛ ليقضي به على دينه. فوافقت بشروطي المعتادة على أن ادفع له المبلغ، وهو لا يقوم بالسداد لتكون لي الحرية في تحديد تاريخ الدفع. ومع حديثنا هذا بدأ هاتفي بالرنين، فقلت لا أريد الانشغال مع أحد في هذا الوقت؛ فالجميع متيقنٌ أنني لازلت نائماً، فتابع عملك، وقم بتغير شفرة الحلاقة؛التي بدأت تحفر في خدودي.

فقال سوف تتغير بعد تغيرك لنغمه الرنين التي تضعها.

فتسمت، وقلت أعطني الهاتف إنّه على الإريكة.

فعاد ومعه الهاتف وقد قام برد على المكالمة.

نعم....

المتحدثة: صباح الخير..

أنا: أهلا من المتحدث.

نحن أكاديمية برافو للتميز.

أهلا بك تفضلي ما هو المطلوب.

نحن نقدم لكم انتم الطلاب المهتمون بإكمال دراستكم منح دراسية وبأسعار رمزية وأقساط مريحة.

وما هو المطلوب مني

سمعنا بأنك مهتم بمتابعة تعليمك.

هل أنت معي

نعم أنا هنا أنا موافق على جميع الشروط بدون الحاجة لشروطي.

يجب أن تحضر أوراقك الثّبوتية كاملة في الموعد المقرر

حسناً..

يومك سعيد....

أهلا...

أغلقت تلك المكالمة، وعاد أخي لمتابعة الحلاقة، وبدأ الحديث عن المكالمة: من اتصل بك؟يسأل مالك...

ودار حديث بداخلي، أنا عيسى الذي بعثرته الحياة من سقوط إلى سقوط، يمنتا ويساراً من مكان إلى أخر، مذ ولدت بمديني حمص؛ التي

عشت فيها ما لا يقل عن عشرين عاما، وهاجرت إلى ريفها عام ونصف العام، إلى أن وصلت تركيا، وراء العمل والأمان والراحة، ولا أخفيكم سراً، والقليل من المال، وها أنا وقد وصلت إلى ربوع وطن، كثر فيه الشجعان، أعيش في أمنهم وأمانهم إنّه.. المملكة الأردنية الهاشمية.. أعمل هنا مع العديد من المنظمات، وأعمل كمدير إعمال لشخص يدعى فارس.

.....

ماذا يريدون منك؟ مالك

.....

هل أنت هنا؟

أنا معك على الكرسي... !

من اتصل بك وماذا تريد وما بك؟

لماذا؟

لا تجيب بسؤال.

حسناً لا تسأل.

وأكمل عمله إلى أن انتهينا، وأتى صديقي المقرب أحمد؛ الذي كان لا يتردد في الخوض معي في إي أمر سواء كان مرعب أم جميل، كان صديقي المقرب، وكنز أسراري، التي أعيشها وكان أخا لي، وبعد أن أنهيت الحلاقة. أخبرت أحمد؛ بأنني أريد احتساء القهوة في مطعم روابي المفرق، الواقع غرب المفرق، كان مكاني اللطيف المفضل، الذي كنت أذهب إليه في لحظات حزني وفرحي، وقد اعتاد على وجودي من يعمل هناك. فقال كلمته المعتادة.... *مشينا*

فخرجنا، ونحن في الطريق، بدأت أحدثه عن المكالمة، فقال أجل نحن نعيش حياة جميلة، لكن دون إي معنى؛فلتكن حياة تمتلك معناً. وأخبرته أن صاحب العمل فارس قد تكون له كلمة مختلفة عن طموحي.....

إنّ فارساً صديقي منذ قرابة خمس سنوات، كان شاباً يبدو عليه، وكأنه في العشرين من عمره، لكنه تجاوز الأربعين، وكان من الناس المعروفين من هذا البلد، قليل الكلام كثير الاستماع، يندر حديثه خارج العمل، كان شديد مع الحق وحليم مع الضعيف، كان يقف معنا في جميع مشاكلنا التي وقعنا فيها، كان سندً لنا في هذا الوطن.... فعمَّ الصمت.

هل سيوافق.....

لا لن يوافق.....

لماذا أنا أعيش من اجل تحقيق أحلام غيري، وأنا عاجز عن تحقيق حلمي. لماذا نحن أقوياء في حل مشاكل غيرنا، وجبناء مع مشاكلنا. ألست أنا من قال انظر إلى مشكلتك من جميع الاتجاهات وركز على الزاوية العمياء؟ لماذا أصابني العمى في مشكلتي.....؟وصل كابتن المطعم.

تفضلوا.... !

فقلت أجل.....؟

فقال لاشيء، ورحل.

وعاد التفكير إلى متى....؟ أين أنا وأين التعليم وأين الحل وأين العمل؟

احمد بصوت خافت سادة...؟

فقلت:لن أستمر في العمل إن لم يوافق فارس.... !

فقال حسناً، القهوة !

قلت لذيذة

فناد على الكابتن، وطلب القهوة.....

وبعد مرور ساعتين من التفكير المتردد، حسمت القرار بيني وبيني نفسي، أنا لن اعمل إن لم يوافق خرج القرار وقضي الأمر.

وعند وصولي إلى العمل أخبرت فارساً بالقصة وعندما كنت أتحدث، كنت أحاول جاهداً قراءة عينيه ؛كما تعلمت في دورات سابقة. التمست في نظراته الفرح لكن لم يتكلم، أو أنا لم ادع له الفرصة للكلام وعندما انتهيت من سرد القصة لفارس...

ما هي الحلول؟

قلت لا اعلم لكن...

ماذا؟ أنا معك بكل ما يخص تعليمك...

والعمل...؟

اذهب واحصل على برنامجك وبعد ذلك سوف نفكر..

جيد سوف اذهب غداً إلى الأكاديمية، وسوف أتطلع على بعض الأمور، وسأخبرك بكامل التفاصيل.

حسناً.

انتهى الحديث، الذي كان فيه كل الخوف من خسارة صديقي فارس، أو خسارة دخولي تلك الجامعة، التي أصبحت أحد أحلامي، انتهى الأمر في العمل، والآن قد حان موعد إقناع الأهل. يراودني التفكير عما سوف يحصل في المنزل ماذا؟ أجننت ! لا أنت مجنون حقاً، لا يا عيسى بعد هذا لا داعي للدراسة، أنت تعمل ولديك المال، لا يا عيسى فأنت تعاني من فوبية السرعة، ولن تستطيع السفر 70 كيلومتراً بشكل يومي، إن كنت تريد الدراسة فلماذا أخرتها إلى الآن. وصلت.

أعطني عشرين دينارا أريد أن اشتري كروز من السجاير.

تعال لنلعب طرنيب، ونتحدث عن الجامعة ونحن نلعب

لا لا لا لا مجهول يتحدث بصوت غريب لا لا لا

ذهب التفكير ومعه الخيال، وقرّرت المواجهة لا الهروب، كان أمامي صديقي مهيد، الذي يعمل معي عند فارس، كان عمله جزار في هذا المؤسسة، كنت أحب كل تصرفاته، وحديثه، باستثناء الحديث عن الفتيات.

كم أصبحت الساعة يا مهيد؟

أين ذهب عبيد؟

عبيد، الذي كان يعمل معي، الفتى الطامح في الحياة، الحياة الخانقة، التي لم تسمح له بإكمال دراسته، بل حتى طفولته؛ فدخل سوق العمل وهو لا يعلم ما يعمل.

الساعة الثامنة وخمس وثلاثون دقيقة، وعبيد قد أرسلته أنت، لجلب (الكود رد)

صحيح، ابدأ بإغلاق تلك الأبواب اللعينة.

حسناً لكن عبيد لم يأتي

أغلق وأنا سوف اتصل به.

حسناً.

اتصلت بعبيداً، واتصلت بأحمد ليوصلني إلى... القصر... وعند وصولي كتمت الخبر، ولم أتحدث به تناولت العشاء، وبجانبي أخي خالد، الذي كان لا يضحك، ولا يحب مجالس الضحك، كان جادً في حياته، التي لا تخلوا من المسؤوليات، ومن التفكير بعيدا بمستقبل إخوته الغير معروف أجل إنه أخانا الكبير كان حديثه قليل، ويعيش الاستماع باستمتاع؛ ولا يمكن كسر كلمته خوفًا من رده النادر لهذا كان هو أبا أخر للمنزل.

وأنا مع كل لقمة من الطعام، أحاول فتح فمي بموضوع، غير فتحه من أجل إدخال الطعام، وانتهينا من تناول الطعام.

خالد تخيل أنني طالب وادرس.

لماذا؟

فقط تخيل.

تخيلت شكراً.

هل هذا غريب.

لا يوجد في هذا العالم وفي هذه الحياة، ما هو غريب إلا الشيطان.

لقد...

نعم لا تكمل أنا على دراية تامة في الموضوع... !

من أخبرك من يعلم غيرك؟

كلنا نعلم ونحن معك إن لم يلحق بك الضرر باتجاه العمل وصديقك فارس....

إن كان ما تحدثت به صحيح، يجب أن يساعدني في الأمر، لا أن يقف في طريقي.

حسناً.

رفيف الأماني: العلم

استيقظت بدون منبه الساعة الخامسة صباحا، واتجهت إلى الأكاديمية، لم أقرأ إي شرط، وافقت، واتجهت إلى المنزل، ولم اتصل بمن وعدته أن اخبره أدقّ التفاصيل.

أجل أريد أن أعود إلى المفرق؛ للذهاب إلى مدرسة عالية بنت الحسين، فهناك حصتين لي في المدرسة كوني أعمل لدى منظمة انجاز الغير ربحيه، أجل إنها منظمةٌ؛ من يعمل فيها، ومن يتعلم فيها لا يتقاضى أو يدفع المال. كان هدفها نشرَ ثقافةِ التطوع في عقول الشباب، وإيجاد بعض الحلول لتلك المشاكل، التي يتعرض لها الموظفون الجدد من الشباب. انتهيت من الحصتين بخيالي، وبدأت جولتي مع فارس لا شيء جديد يا صديقي بخيالي أيضاً. وبالفعل انتهيت من الحصص المخصصة لطالبات المدرسة، وذهبت إلى فارس.

ماذا حصل؟

لاشيء يذكر سوف اذهب غدا إلى الجامعة واحصل على البرنامج

جميل، زودني به لحظة الحصول عليه.

هل ستوافق إن كان صباحي؟

أنا لا ارفض إلا ما هو يضر بي، وبمصالح عملنا لا تقلق وابتعد عن السوداوية، التي برأسك يا صديقي.

إن شاء الله.

ذهبت إلى جامعتي، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة بشفا بدران، أجل هي جامعة كل العرب، كانت تحوي كل الجنسيات العربية وغيرها، كانت عالم صغير مطوق بسور يمكنك اجتيازه متى شئت، لكن لن تصبر على فراقه، ولحظة الوصول لم ألاحظ إي شيء غريب أو مريب وعندما نظرت إلى الأعلام المعلقة على جدار الجامعة في منطقة الاستقبال. وجدت علم بلادي علم وطني الأصلي، ابتسمت من شدة الألم والحزن، أنت ماذا تفعل في هذا الوطن الجميل؟ لم يتحرك، ولم يرفرف فقلت له بصوت واضح ومسموع، أجل أنت لا تسمع إلا ما تحب، لا تسمع إلا صوت من حولتك السياسة رمزاً لهم فقط، أحسست بحركة منه فنظرت إليه وقلت له هل تتوقع مني معانقتك، أليس أمن المواطنين كان واجبا عليك، ألسنا قد رفعناك لتضم شمل البلاد، اذهب، أنا لا أرغب حتى بالسلام عليك. وراودني التفكير بتمزيق هذا العلم، الذي لم يعد علماً لوطنٍ، بل أصبح شعاراً لشخص استهواه القتل والدمار وزرع الفتن من أجل كرسي.

يوم ميلادي الحقيقي

تركت العلم سالما وأكملت المسير حتى وصلت إلى مكان فيه العديد من الطلاب وأناس يتحدثون بصوت واضح بدا لي الأمر وكأنه لقاءَ أصدقاءٍ بعد فراق، وهناك بعض الشباب والشابات، يتعارفون على بعض لأول مرة.

سألت احدهم أين أجد كلية الأعمال

عند الهاش تاغ....

وعاد إلى أصدقائه من اجل إكمال الحديث معهم، أنت أنا لا اعرف الهاشتاغ إلا على الفيسبوك والتويتر، أين أنا، ما هذا العالم؟ لو أنك في مدينتي، لأوصلتك بيدي إلى هذا المكان المشهور.

وبدأت رحلتي بالبحث هل ابحث عن الهاشتاغ أم ابحث عن كلية الأعمال؟ أجل هذه الفتاة سوف تساعدني تبدو وحيدة.

صباح الخير.

بابتسامة أهلا وسهلا.

هل يمكنك مساعدتي؟

بتأكيد تفضل !

ليسوا سواسية يا عيسى ستجد الطيبون في كل مكان....

أين هي كلية الأعمال، أو أين هو الهاشتاغ؟

اتجه من هنا وادخل داخل الكافيتريا، وعند الخروج ستجد الأعمال أمامك والهاشتاغ على يمينك.

أصبح الآن علي أن أجد الكافيتريا ثم الهاشتاغ، ثم الكلية !

ما بك يا صديقي؟ هل تتحدث مع نفسك؟ ارفع صوتك

.....

حسناً أنا قادمة معك... !

..... حسناً

هذه التي نحن فيها الآن تدعى الكافيتريا، تعال معي و الأزرق الفاتح هو الهاشتاغ، وكلية الأعمال أصبحت أمام وجهك.

شكراً

هل أنت جديد أم لك موعد مع أحداهن؟

أنا الأولى ولا أحب الثانية... !

ابتسمت كلامك لطيف ولهجتك توحي بأنك عراقي؟

هل من المفروض أنّ علي الإجابة؟

لا، أنت مخيِّر.

أنا من بلد حكمه كلبٌ بقبضة حديدية بعد أن ورث الحكم عن أبيه المعتوه، وعندما ثار أبناء الوطن من أجل الحرية و القليل من الكرامة، جمع الكلب علينا قطيعاً من الكلاب، استباحوا أرضنا وأزعجونا بنباحهم.

امممممم عرفت أنت من سورية، إنّ والدتي سورية، سورية كانت وطناً جميلاً، وفيه أناس طيبون.

أجل كان وسوف يعود.

أنا أحب سورية.

هل انتهى الحديث؟

لا ما اسمك؟

سأجيب في وقت لاحق أو عندما تكفين عن إجابتي بسؤال.

امممممم سوف نلتقي!

ربما في وقت لاحق، شكرا لك.

العفو وفرصه سعيدة يا....

دعيها فارغة يا صديقتي سوف تملأُها الأيام واعدك بذلك.

هل تعني أن أسميك بصفتك؟

نعم هذا ما أردت، يجب أن ننادي الأشخاص بصفاتهم، لأنني اعرف أناس اسمها صادق ولا تعرف الصدق إلى اللقاء أيتها الطيبة.

شكرا إلى اللقاء.

ومضيت وأنا أفكر كيف ومتى وأين؟اتجهت، وأنا امسك بيدي حقيبتي الصغيرة باتجاه الاستشارات ومركز الدراسات؛ حيث ما وجهتني ممثلة الأكاديمية، وعند دخولي بدا علي منظر الطالب الجديد. فوجدت أحد الأشخاص الذي بدا عليه أنه من أهل المكان، ألقيت التحية، وتقدمت إليها.

صباح الخير أنا عيسى

وأخيراً أتيت.

..... !

أنا انتظرك منذ الساعة التاسعة صباحا.

اعتذر، أنا من محافظة المفرق، والطريق طويل، كما أنني هنا منذ نصف ساعة لكن لم اعرف الوصول إلى هذا المكان.

امممممم (بنظرة لا يبدو فيها الارتياح)

هل لي أن اعرف ما هو البرنامج وما هي ساعات المحاضرات ومواعيد الحافلات؟

إليك ما تريد هذا برنامجك واذهب إلى الحركة لتأخذ موعد الحافلة القريبة

حسناً وماذا بعد.

لاشيء.....

هل بإمكاني الرحيل أو مغادرة هذا المكان؟

نعم بالتأكيد.

شكراً لك...

هل أنت عراقي؟

لا ، إنّ بطاقتي بيدك، أليس صحيح، يمكنك معرفة وطني.

لهجتك غريبة.... !

أجل نوعا ما، لكني لست غريب شكرا لك.

خرجت من المكان وأنا على عجلة من أمري، واتجهت إلى المكان الذي يسمونه الحركة، فوجدت العديد من الحافلات، و كانت هناك مشكلة ليست بكبيرة لكنّها كارثية، لاتوجد حافلة إلى المفرق، اتخذت القرار، سوف أكون في محافظة الزرقاء ومن هناك سوف انتظر الحافلة للمفرق وغادرت.

وأنا في طريق العودة، اتصلت بفارس لكي اخبره أن البرنامج يستدعي الدوام بشكل يومي في الجامعة، وسوف أتواجد في المفرق الساعة الثانية ظهراً، واتفقنا أن نتحدث لحظه وصولي. وطول الطريق كان يراودني التفكير بالانسحاب والتخلي عن الجامعة، تارةً أقول: ليست التي حلمت بها، ولست بحاجه لها، فأنا امتلك خبرة تعادل خبرة بعض الدكاترة وتارةً أقول: لا أنا بحاجة إليها، يجب أن أعود للحياة التي نشأت عليها، حياة العلم والمعرفة.

ووصلت، أجل أنا في المفرق كنت من أكثر الناس المعجبين في هواء مفرقنا، هواءٌ نقيٌّ، وأهلها الكرام الذين يعرف كل منهم الآخر، صغيرة بحجمها؛ لكنها تتسع لكل البشر. جلست، وأخبرت صديقي فارس بما حصل، فقال إذن من الأحد إلى الخميس، قلت له: للأسف نعم، قال: يجب أن تدرس يجب أن تدرس. وكعادتي أقرأ عينيه، لا يبدو أنه مجبور على اتخاذ هذا القرار. وعيناهُ تقول: أنّه سعيد؛فزارني الشعور بالفرح التمست الفرح في قلب فارس، وقال: يبدو عليك ملامح التعب اذهب، واخلد للنوم في بيتك. ولا تنسى غدا أن تأتي بعد دوامك، لتخبرني عن صديقاتك وأصدقائك، ابتسمت ولم استغرب فأنا احدث فارس بجميع التفاصيل. ذهبت إلى المنزل وقررت النوم على أن استيقظ قبل الغروب. وعندما استيقظت أدركت ما كان يعنيه أحمد حين قال: حياتنا ليس لها معنا!

وعدت احدث نفسي كثيراً عن الحلم، فلماذا لا احلم مثل باقي البشر؟ واجد الإجابة تكاد أن تسبق السؤال نفسه، وهل أنت بشر كي تحلم، وهل أنت على قيد الحياة أصلاً، تحركت باتجاه المطبخ، الذي يلجئ إليه معظم العرب بعد الاستيقاظ من النوم، فتحت الثلاجة وأحضرت قطعة الثلج وفتحت علبتي (الكود رد)، وبدأت اشرب وابتعد بخيالي قليلاً، لكنني لم اعثر على خيالي حاولت جاهداً أن أرتب ولو فكرة واحدة. لا، لا، لا يوجد في خيالي إلا كلمة أخي مالك تعال نلعب الطرنيب. تأكدت أن لا حياة لي، ولأمثالي لكن قلبي مكسور من هذه الفكرة، أنا الذي كان يملأ الحياة

بالأمل، أنا الذي كانت أفكاره مليئة بالطاقة والحيوية، لماذا هذا حالي ما الذي تغير؟ خرجت إلى غرفة الضيوف، المنبعث منها صراخ عزوز وعساف على هدف قد أحرزوه ضد حاتم وخالد وصراخ أخي الصغير على احمد (الم اقل لك أنا 14 لماذا هذه بيدك)، دخلت إلى المعركة الحاصلة بينهم، لكنني لم أقل سوى: السلام. لم يرد احد من هول المعركة الحاصلة بينهم، جلست إلى أن انتهيت من شرب(الكود رد)، ثم ذهبت إلى السطح وبدأت أتذكر، وأتأمل الأيام التي كنت فيها طالبا، أجلس، و أدرس أنا، والقمر، وجاراتي، وقهوتي. كانت أيام لطيفة جميلة، لماذا لا أعود أليها. بقيت وحدي لساعة ونصف.

عدت إليهم لم يتغير شيء إلا أن الهدف الآن لحاتم، وعزور يصرخ بوجه شريكه عساف قائلا: أنا لم أعد أريد اللعب معك أنا لن أعود للعب إلا وحدي. أجل، تخلى عن صديقه وشريكه في تلك اللعبة، هناك طاقم أوراق اللعب، ثم يعم الصمت للحظات فقلت لهم: السلام عليكم

.....

لم يرد أحد.... ! لماذا لا تردون السلام؟ هنا بدوت غريبا لما قالوا أنت هنا، منذ أكثر من ساعتين... ! أيقنت أنهم لم يلاحظوا حتى خروجي، اعتذرت منهم، وقلت لهم لكن إلى متى ستبقون على هذا الحال؟

رد عزوز قائلا: لين الله يشوفلك (حتى يفرجها الله)، وضحك الجميع، وأنا لم أتمالك نفسي، وبدأت بالضحك معهم وكان عزوز صاحب كلام لطيف في فرحه، وقد يجرحك إن كان غاضبا، لكنه يمتلك كل صفات الكرم والطيب التي زرعها والده رحمه الله فيه.

ومع الصباح خرجت باتجاه جامعتي، وعند وصولي إلى الهاشتاغ، المكان الذي سوف يصبح رفيقي، اتجهت يساراً وجلست أسفل الدرج، وجلس شاب إلى جانبي.

صباح الخير، عاهد القضاة، كيف حالك؟

أهلاً، صباح النور، عيسى.

أعرف اسمك بالأمس انتظرناك كثيرا، لكنك لم تحضر.

أنا ولماذا؟

لا اعلم لكن اخبرونا أن هناك طالب في الطريق وعلينا انتظاره وعندما أدركنا أنك لست بقادم، خرجنا بعد حصولنا على البرنامج.

انتهى الحديث بجلوس شخص آخر، لا أريد أن يرد اسمه في هذا المكان، وسأعطيه رمز (ميم)، وبعد أن ألقى التحية، وعرّف عن نفسه، جلسنا نحن الثلاثة وبدأ التعارف.

عاهد: يدرس معنا، لكن ليست له الرغبة في هذا التخصص، جاء من محافظة تدعى السلط، لكن لا اعلم لما يدرس وهو ليس راض بهذا التخصص.

ميم:يعمل كخطيب في مسجد حيهم، بعد أن أنهى تعليمه كطالب شريعة. لكن عند سؤالي عن عمره، أيقنت انه لم يقل الصدق، وعرفت جيدا أني لست بحاجة لهذا الكاذب في حياتي، فأنها لا أكره شيئاً بقدر ما أكره الكذب حتى لو كان أبيضاً كما يدعون، واستمر عاهد بالحديث معه.

التفت نحو الخلف، وإذ بفتاة شعرها اسود وتمشي متعبة، وكأنها كانت تعمل طول الليل، وبيدها زجاجة مياه، تمشي وهي تضع شيءً على يدها الصغيرة، وبدت، وكأنها تسير نحوي، بحقيبة لونها أخضر، تسير بسرعة، وقد تتعب حتى من مجرد مشاهدتها، ومرت، وقالت بصوت لم أسمعه، لكن سمعه عاهد.

صباح الخير، لم تلتفت لم ترد، استمرت بالمسير لم أريد الذهاب خلفها، كوني لا أحب التصرفات الطفولية، أو تصرفات المراهقين، إذن لنكمل الحديث، أنا لست معكم وإن بدوت جالس بجانبكم، كيف لي أن أشاركك يا عاهد بهذا الحديث الذي لليوم لا اعلم ما كنت تتحدث عنه أنت و ميم.

دخلنا إلى قاعتنا، وبدأت مرحلة انتظار الدكتور المقرر أن يحضر الساعة التاسعة صباحا، وقد شارفت الساعة على العاشرة، وبدأ الملل، صوت رحاب تقول إن الدكتور قادم بصوتها العفوي المزعج المليء باللهجة المحلية (هيها الدكتورة قادمة) أنا بيني وبين نفسي من مريض وماذا تريد الدكتورة منا وأين أنا؟ من انتم؟ وإذ الباب يضرب بأصابع أحدهم وقالت: صباح الخير أنا رزان محضرتكم لمادة اللغة الانكليزية.

كانت رزان بمثابة صديقة لنا، لم تعاملنا ليوم واحد على أننا طلاب وهي المحاضرة، كانت صديقة بعض الفتيات في مشاكلهن وكانت تحب الحديث عن الأكل واللباس كانت تهوى التأخر علينا بالمحاضرات وكانت تمتلك وردة تدعى فيروز من زوجها الدكتور براء صاحب الهيبة، الذي لا تعلم متى ينتهي مزحه معنا، ومتى نعود إلى الجد كان يقدم المحاضرة بطريقة تجذبك للدراسة والاستمتاع بسماعه.

أخبرتنا الدكتورة رزان إن اليوم سوف نبدأ بمحاضرة لمادة اللغة الانجليزية. وبدت المحاضرة وكأنها جلسة للتعارف أنت ما هو اسمك، ومن أين أنت، ولماذا اخترت الدراسة أو هذا التخصص؟

وأنا استمع للأصدقاء، لكن تفكيري ما زال في الخارج، شعرت حينها أن تلك الفتاة التي لم ترد الصباح ليست كأي فتاة عادية بالنسبة لي، وشعرت أنا هذا اليوم ليس عاديا أيضا، إنه يوم ميلادي الحقيقي، وبدأت في البحث عنها في هذه القاعة، لكن دون العثور عليها، وصل الحديث لي.

أنت عيسى أليس صحيحا حدثنا عنك؟

أنا عيسى من سوريا لا يوجد إجابة عن سبب اختياري لهذا التخصص هل هذا يكفي؟

لا لا يكفي!

الأيام قد تجيب وقد تكون اصدق مني صدقيني يا رزان

حسننا

انتهت حفلة التعارف الجميلة التي لم اعثر فيها عن من خطفني. وعند الانتهاء طلبت منا رزان الإنصات قليلا وأخبرتنا. إن غدا ستكون محاضرة ACDLفي كلية العلوم والتكنولوجيا، فأخبرتها إن يوم غدا لن أكون موجود مع توضيح سبب الغياب، وهو دوامي مع انجاز. فقالت أنت وعاهد سوف تأخذون محاضرات ACDL بنفس أيام محاضرات الانجليزي فشكرتها لهذا.

وبعد التعارف علينا وعليها ورسم الخطة والقوانين قالت يمكنكم مغادرة القاعة وعند تجهيز نفسي للخروج طلبت مني ومن عاهد البقاء داخل القاعة، خرج الجميع فقالت اليوم سوف اخبر الدكتورة دعاء المحاضرة لمادتكم عنكم فشكرتها. قالت الأحد والثلاثاء والخميس محاضرتان جيد؟

نعم جيد شكرا وكان يجب أن نتواجد في الكلية بعد نصف ساعة خرجت أنا وعاهد باتجاه العلوم وبدأت رحلة البحث عن قاعتنا، وبعد أن وجدتها، طرقت الباب لم يفتح رغم سماعي لأصوات الطلاب، طرقت الباب مجدداً ففتح الباب تفضلوا أنتما عيسى وعاهد، نعم نحن تفضلوا مع دخولي وكأنني أشاهدها، أجل هي وشعرها المتدلي على كتفيها وتجلس بجانبها فتاة لا تفارقها الابتسامة، قطعني عاهد:

أين تريد أن نجلس يا عيسى؟

لا فرق كل المقاعد التي تطل عليها مناسبة...

من هي؟

الدكتورة يا عاهد ومن غيرها مع ابتسامة؛ قد تفوق فرحه الطفل الذي وجد أمه بعد رحلة بحث طويلة.

حسناً هنا سوف نجلس هذا المكان جيد؟

لا مشكلة يا صديقي.

وسمعت صوت أجش من خلفي يتحدث عن لعبة القتال المعروفة (باتل غراند BBG). التفت وألقيت التحية.

أنا عيسى

أنا احمد منصور ادرس هايبرد.

جيد نحن هنا بجميع التخصصات نعم هل لك أن تشرح لي عن ماذا تتحدث الدكتورة.

فقال لا تقلق لم تتحدث بعد.

وبدأت بالاستماع للدكتورة دعاء، والنظر بكامل اللطافة إلى تلك الفتاة، لم ارغب بخدش براءتها بنظري الحاد على ما يصفونه كنت مرتاح لحد الاستلطاف لتلك الطفلة، وهناك شيءبداخلي يقول لا تقترب هذا ما أنت قد كبرت عليه لن ولم ولا وكل أدوات النهي والنفي لا عودة لطريق الحب. انتهت جلست التأمل بذلك الملاك، اقصد انتهت المحاضرة، وبعدها اتجهت إلى المكان المخصص للعب الرياضةأنا واحمد وميم وعاهد، وبدأ عدد الأصدقاء بالازدياد، هناك رأيت رحاب وهي تلعب الريشة

لماذا لم تذهب الى المنزل الم تنهي محاضراتها قبلي بساعتين أم أنها لا تمتلك منزل. اتجهت إلى رياضتي المفضلة تنس الطاولة، أجل هناك بدأ الحماس لكن سرعان ما انقضى الوقت، واخبرني احمد أن الباص قد يتحرك، و الساعة، أصبحت الثانية ظهراً والتفت بنظرة خاطفة إلى رحاب وكأنها لا تريد الخروج.

وتابعت المسير جلست أنا واحمد، وأصبح احمد صديق الطريق، و إلى الآن، وعند وصولنا إلى الباص أخبرته بأن ينزلني إلى اقرب نقطه فيها تجمع للسيارات الذاهبة للمفرق الغالية، واخبرني أنه سوف ينزلني هو في المكان المناسب وبدأ الحديث مع احمد الذي كان يتحدث، وكأنه أنا وبدءنا بإعطاء كل منا الآخر النصائح بشأن الطريق، أتذكر ما قاله؟ نعم، هنا ليست المفرق احترس.

لم اخبره أنني اعرف شوارع عمان وأحيائها، بل شكرته على تلك النصيحة، وطلبت منه الانتباه على نفسه وعلى عاهد، إذا مر يوم وأنا لم أكن موجود فقال سوف نلتقي بعد غداً. ونزل من الباص عند الإشارة، وبقيت أنا بالباص إلى أن أنزلني من المكان الذي صعدت منه، أجل هنا أي سيارة متجهه إلى المفرق ممكن أن توصلك مقابل اجر قليل، لأن معظمهم من سكان المفرق وموظفين في الزرقاء؛ فهم جاهزون لإيصالك بأي مبلغ، حسناً اخترت سائق تلك السيارة يبدو شاباً، واتجهنا إلى المفرق.

عيسى في الحياة

ها أنا قد وصلت، واستقبلني صديقي مهيد قائلاً كيف كان عملك اليوم؟ اخبروني انك تبيع الطوابع وتصنع القهوة في الجامعة. ابتسمت وقلت له نعم هل تريد طابع أم فنجان من القهوة. ابتسم وقال تدرس.... ! صعب لا تتعب نفسك، طلبت منه الجلوس مكاني في العمل كي اخلد للنوم قليلاً، فوافق بشرط أن تكون وجبة الغداء على حسابي، فوافقت كما أنني أوافق على جميع شروط مهيد دائما؛ لأني اعتبره أخي، ولا هناك ما يضر.

ووضعت رأسي على الكنب داخل المكتب وتأملت اليوم، كم رجوت أن تزورني في حلمي... ! ووضعت السماعة في إذني وكانت أغنيه للفنان عيضة المنهالي إحساس غالي. دخل علي مهيد فقال: عيسى قتلني الممل.

هل لك أن تحدثني عن يومك، ما بك؟ لا أرى ابتسامتك التي كانت تملأ المكان هل أنت بخير يا صديقي.

أنا بصوتي المخنوق آه، يا مهيد كم سوف نعيش مئة سنه أم أكثر...

هل حصل هناك مشكلة يا عيسى؟

بطبع لا يا مهيد بل اعتقد أنني أنا وقعت في مشكلة....

الله يسمعنا الأخبار الطيبة.

أنا بصوتي المعتاد مع القليل من اللكنة البدوية:

... سحابة أقدمت وما معها من الأمطار مزنه
... لا هي طائرة ولا عندها من الأقدام عنا
... تمشي واللطافة في محياها ومبسمها غارقا
... وان جيت أوصف لك العيون لم تحدث استجابة
... إلا الشفايف قاتلتً بعضها من عض بعضها
... كن الشفايف عسل ولا الروج الأحمر شهدها
... لا ردت ولا التفت وأنا يا أخوك للحين معها

عاد مهيد وأشعل السيجارة وأعطى واحده لي وقال أنت. أنت وزفر قائلا: أنت العاقل هكذا فلا تلومني بحب الفتيات. أنا بصوت مرتفع لا لا لا ما هي مثل فتياتك ولا أنا مثلك لا تشبهني بك أرجوك، وهي ليست كالفتيات اللواتي يتحدثن معك. خرج، أحسست أني قسوت عليه بالكلام، لكن لن اسمح له بالحديث عنها، وبقي معي هاتفي وصوت خافت من السماعة يقول:

من شهر تسعه
ماخطف طرفي نعاس
وان نمت شفتك ساكنً في خيالي
شربتك من الحب كاس ورى كاس

ابتسمت دون وعي، عاد مهيد مبتسما يا عيسى؟ أنت تعرف أن الوقت ما يساعد، رددت عليه ولا حتى الأقدار تساعد، تعال أحدثك عن الحب يا مهيد، مهيد كان وقتها يستعد لخوض جوله في BBG. تعال وحدثني داخل اللعبة لا لن أعود للعبتكم هذه؛لم أجد فيها شيء جميل وكأنّ الوقت رخيص لإضاعته في هذه التفاهات. وأنهى رنين هاتفي الحديث

عيسى اخبر عبيدا أن يحضر لي إلى المكتب بعد صلاة المغرب.

حسناً هل تريد شيء غير ذلك

لا شكراً لك

وأخبر مهيد عبيدا أن فارس قادم

أنا بصوت عالٍ تعال يا مهيد لا تخبر أحدا عما أخبرتك به.

وأنا اعلم أن مهيد سوف يبلغ حتى الزبائن أنني أصبحت عاشقا أو مغرما، ودائما مهيد يضع الشرط، وأنا أوافق على أي شرط، وبدءنا الحديث مع اقتراب أذان المغرب.

ماذا سوف تفعل أنت مع هذه، ما هو اسمها؟

سوف اصنع إبريق من الشاي العدني عندما اعرف اسمها.. !

إلى الآن لا تعرف اسمها؟

لا اعرف إي شيء إلا أنني عندما أتذكرها، ابتسم.

أنت مبتسم في أسوء الحالات والظروف، أتذكر؟

أنا ابتسم، لكن الآن مبتسم واشعر بسعادة، يا مهيد.

الله يوفقك.....

معك يا مهيد، أهلا فارس

ابتعد مهيد ضاحكاً، وفارس بدأ بالحديث:

ماذا حصل اليوم، كيف كانت الجامعة؟

اممم جيدة إلى حد كبير يا فارس انا اليوم ت.....

تحدث..

لا شيء....

تكلم أنا صديقك

لقد تعرفت على أصدقاء جدد، وكان الدوام جميل ولطيف، وشاهدت فتاه جميلة، لكن لا اعرف اسمها ولا اعرف إي تفصيل عن حياتها لكن اعرف أنها لطيفه

امممممم.....

ماذا؟ هل أخطأت؟ أنا لم أتحدث معها ولكن هي معي في كليه التكنولوجيا.

هاتفي يرن.... ابتعدت عن فارس لأكمل المكالمة مع الشخص الذي رفض ذكر اسمه في هذا الرواية، عدت إلى فارس وأنا اضحك وبصوت واضح وطلبت منه الجلوس بمفردي، وعندما مسكت دفتري تذكرت أنها كانت تملك قلم بلون غريب لون فاتح، لكن الحبر كان واضحا، وتملك ورقة صغيرة، كانت تدون عليها ما كانت تتحدث به الدكتورة. عجباً لماذا لم أدون مثلها، أو ماذا كانت تتحدث به الدكتورة لا اذكر، أو ليس ذا أهمية أنا اعرف تقنيات الحاسب كلها ولقد أخبرتني الدكتورة أنني سوف أساعدها في البعض منها، أنا لا أريد أن أكون فاشلا ولا أريد أن أضيع وقتي في الحب، يراودني هذا التفكير، لكن سرعان ما تعود البسمة مع تذكر شعرها المتدلي على أكتافها وعيونها التي إلى الآن لا اعرف هل هي بنيه أم عسلية أم ساحره ما هي من كالبشر، انتهى الدوام ولم أنجز أي شيء في عملي وغداً دوام مع منظمة انجاز. عادةً أحضر الدرس لدوامي في المدرسة، ماذا سوف أقدم لطلابي غدا؟

وفي اليوم التالي ومع الصباح الجميل اتصلت بأحمد الذي عادةً يوصلني إلى المدرسة، وثم نذهب لتناول الإفطار في مطعم الروابي، حضر احمد وفي السيارة قمت بتوصيل هاتفي إلى المسجل من اجل الاستماع إلى الأغنية التي شعرت أنها لامست شيء من مشاعري بالأمس، أجل أغنية شهر تسعه (إحساس غالي)، ومن هذا الشهر تغير عيسى الخالدي. أو بدأ التغير الذي أنا اطمح له، احمد يرفع صوت المسجل ضاحكا.

أغنية جميلة

هل نستطيع الحب يا احمد؟

اممم، حياتك ليس لي فيها شأن لكن أريدك سعيد فيها.

هل أنا صغير على الحب أم الحب صغير علي؟

لا الحب لا عمر له

هل هي بشر؟

بعينك يجب أن تكون مختلفة وهذا ما يثبت صدقك لها.

أنا لم اعد أرى من النساء غيرها، يا احمد هل هذا اسمه الاكتفاء!

لا هذه دليل على شيء من الود اتجاه تلك الفتاة.

هل هي على علاقة بأحد؟

ماذا هل أنت مجنون؟

فيها نعم، وبغيرها يستحيل إقناعي بالجنون.

كيف تحب فتاة لا تعرف إذا كانت على علاقة؟

أنا غير مهتم بهذا واعتبره شيء ثانوي، وليس أساسي.

غير مهتم بماذا؟ أنت فقدت عقلك... !

أنا لا أريد أن افقد مرة أخرى؛ فقد فقدت في المرة الأولى وطنا، ولن اسمح لأحد سلبي شيء من جديد، أتفهم ذلك يا صديقي؟

قد تكون أنت من يسلب الناس أشيائها.....

أنا، كيف ولماذا؟ أنا على العكس ما أنت تفكر به، إن كانت على علاقة بأحد، فسوف أكون أخا لها، وإن لم تكن لأحد فهي لي، وإن كلف الأمر روحي.

لا أنت تقول انك لا تعرف إذا كانت مرتبطة أم لا... !

نعم وما دخل هذا بالسلب؟

يمكن تكون لغيرك، وأنت تحاول سرقتها عن غير قصد.

فهمتك، إن كانت كذلك، أخبرتك سوف أكون أخا لها...

أخا، وهل أنت بحاجه لإخوة جدد؟

أنا بحاجه لعينها، تلك التي تدعى، لا اعلم اسمها.

عينها..... ما هولون عينها؟

لا اعلم لكنه ساحر..... !..... !

وصلنا إلى تريد النزول؟

أجل، وسوف اتصل بك قبل الانتهاء، وأنت اتصل بالمطعم اخبرهم بقدومنا.

حسناً لك ما تريد.

اتجهت إلى المدرسة، كان الطلاب طابوراً لتقديم التحية الصباحية للعلم، ألقيت التحية على المديرة وذهبت إلى غرفة المدرسين، وتناولت كأساً من الشاي الحار مع عشبه تدعى الميرمية. وإذ بالجرس، وبدأت الحصص؛ فاتجهت إلى صفي وألقيت التحية على طالباتي، أخبرتهم بأن... عنوان درسنا مشكلة وسبعون حل لها...

فنظرت إليّ إحدى الطالبات، وقالت ما حل مشكلة الموت، أجبتها ليس الموت بمشكلة لكي يكون لها حلاً.

فقالت أخرى والحب.....؟

أجل صديقتي، الحب مشكلة، من أهم المشاكل التي قد تقعين فيها ولا يوجد لديك من يساعدك فيها، الحب مستثنى من عنوان الدرس.....

صوت من المقاعد الخلفية: الحب.... مشكلة....

ارفعي صوتك!

قالت أخرى أجل الحب مشكلة؛فأنا لا استطيع القول لمن أحب:أعرف أنك تكذب، أو أنك تستغل حبي، اختبرت ذلك من محيطي؛فأنا لم أقع بالحب بعد.

أزداد اللغط

هدووووء

وبعد أن صمت الجميع، أعزائي لا سبيل إلا تكبيل مشكلة الحب، غير أن نذهب فيه بكليتنا، أي أن نصطحب عقولنا مع القلوب، فمثلما يجور العقل بدون، قلب يضيع القلب بدون عقل.....

هل الحب حرام؟ صوت مألوف من أحد المقاعد.

لا يا صغيرتي ليس حراما، إنما حلال لان الحب يعطي حياتنا رونقاً جميلا ويمكن أن يكون الحب دافعا لتحقيق الأهداف النبيلة.

هل تحب؟ وجه لي سؤالا مفاجئا

بابتسامة لطيفة لا اعلم..... !

هل تعرف اثنان كانا يحبان بعضهما وتزوجا؟

نعم اعرف العديد من الناس الذين أحبوا بعضا، وتزوجوا، وأنجبوا أطفالا، ولبثوا في حياة جميلة.

هل الزواج هو ولادة الحب؟

سؤالك فيه إجابة طويلة...

الحب علاقة لا نستطيع السيطرة عليها ونحن بالحب لسنا مخيرون بل مسيرون، لأننا لا نستطيع أن نحب من نرغب بحبه ولا نستطيع أن نقول لمن نحن نحبه أننا نكرهه.

إي أن الحب عبارة عن مشاعر والإنسان يمتلك المشاعر لكن لا يستطيع أن يتحكم بها. كلنا يعلم أن الموت حق وكل من على هذه الأرض سوف يموت، ونعلم جيداً أنّ البكاء والدموع لايفيدان، ومع ذلك نبكي حتى تنضب دموعنا حين نودع غاليا. أجل هذه هي المشاعر فنحن ندرك أننا نسير بدروب خاطئة لكن نحن نحب ذلك، ولا نسمح لأحد بأن يرشدنا.

فهمناك جيدا يا معلمنا، هل أنت تحب؟

نعود لدرسنا.... !

صوت خافت من أحد المقاعد (إنّه يحب)

بصوت مرتفع لا أو نعم ما هو الفرق.

إحدى الفتيات معلمي: إذا قدم لي زميلي في العمل ورد هل ارفض الورد أم اقبل.

أخرى معلمي : إذا طلب مني مدير الموارد البشرية أن اذهب معه لتناول وجبه الغداء في مطعم ما أثناء الوقت الرسمي أو بعده هل ارفض؟ أم اقبل؟

ثالثة: معلمي إذا شاهدت زميلتي تأخذ هدية من احد العملاء هل ابلغ عنها مديرنا؟

بصوت يكاد أن لا يسمع، معلمي إذا أحببت معلمي هل أنا مجنونه؟

ابتسمت ولم اجب.....

ما بكم هل أصبحت علاقات العمل والاستلطاف والهدايا جريمة....؟

لا يا معلم نحن بمجتمع عاش منغلقا.....

لا يا معلم نحن نحسد بعضنا البعض....

لا يا عيسى أنت اكبر مشكلة في هذه المدرسة.

لماذا؟

مجرد وجودك.

صغيرتي أن وجودي، لم يكن مشكلة، أنا هنا لأعطيكم بعض النصائح، كما تعلمون، وأنا الآن أكمل دراستي معكم، وإن كان وجودي مشكلة فلن انسحب ولن أتغير معكم. ونظرت إلى الطالبات وكأني أشاهد فتاة تحاول إخباري بشيء لكن حيائها يمنعها فطلبت منها التحدث وهي جالسة، لأنني كنت اشعر أن وقوف الطالبة لوحدها والحديث قد يربكها وهذه الفتاة تبدو خجولة...

أنت هناك ما هو اسمك؟

سلسبيل

اسمك جميل تفضلي ماذا تريدين؟

يبدو انك الآن، وقعت في مشكل أثناء عملك..... !

نعم واستخدمت الحل السريع، ورتبت لكم بعض من الأفكار عما حصل يا صغيرتي حياتنا فيها الكثير من المواضيع، ونحن من يقسّمها، ويضع كل منها على حدا منها الضروري العاجل، ومنها الضروري الغير عاجل ومنها الغير عاجل والغير ضروري.

أنهيت الحصة، واتصلت بأحمد، وطلبت من هو القدوم، هيا إلى الروابي. حضر احمد واتجهنا إلى الروابي وأغنية إحساس غالي بصوتها المرتفع.

كيف كان اليوم

تراب مع القليل من البهارات.

جميل التراب جميل لكن البهارات لم افهمها ما هي؟

البهارات هي الحب

حلو الحب رونق الحياة

أنت كل شيء تقول عنه جميل... !

أأنت لست جميلا مثلاً.

أحسنت هل لنا أن نجلس بقرب الشلال.

امممم. هروب موفق..... !

جلسنا، وطلبنا القهوة شربت القهوة مع احمد، وذهني بعمان أمام كافيتريا الجامعة. انتهينا من القهوة، وذهبت على عجلة من أمري باتجاه العمل، وصلت متأخرا قليلا، ليس مهم التأخير، المهم وصولي قبل مغادره فارس لنتحدث بموضوع كان يشغل كل من كان يعمل معنا. وصلت إلى العمل، وألقيت التحية على فارس: السلام عليكم لم يجيب احد ماذا حل هنا؟ ما بهم؟ ما الذي يجري؟لا مجيب. فاتصلت بصديقي حسن الذي يعمل معي، وبعد خروجي من مكتبنا. هل لك أن تخبرني ما بكم؟

أهلا وعليكم السلام.... !

هل لك أن تخبرني ماذا هناك ماذا حصل مع فارس؟

لاشيء سمعت أن عملنا سوف يتوقف... !

ظننت أن هناك ما هو اكبر....

لا هذا ما سمعت به لكنني اعتقد أنه كبير

حسناً إلى اللقاء.

فارس داخل المكتب يشرب النرجيلة بطريقة غريبة جداً. أنا بصوت صلب مع ابتسامة:لا تقلق أن توقف العمل سوف نجد عمل جديد.

فارس بصوت خافت يكاد أن لا يسمع:ما هو العمل الجديد يا عيسى.

أنا بضحكة كبيرة: نسوي (نعمل) شاي ونشرب. ضحك الجميع واقبل بعضهم علينا، وأخذ البعض الآخر يسترق السمع من وراء باب المكتب، بغية سماع صوت ضحكة فارس التي تعطيهم الدافع المادي والمعنوي في آن.

خرجت وأخبرتهم أنّ لهم مكافئة إن لم يتوقف العمل وغادرت مكان العمل إلى المنزل. وخلدت إلى النوم وأنا أفكر بدوام الغد هل سوف أراها؟

عيشي مع الجامعة

استيقظت على اتصال هاتفي الساعة السابعة صباحا، إنّه سائق السيارة ينتظرني أمام القصر! نهضت وطلبت منه الانتظار لمدة خمس دقائق، عربية. ودخلت إلى الحمام، وبدأت أفكر هل استطيع أن اطلب منها الجلوس معها ومع أصدقاءها، وقلت يجب أن أصنع فرصتي مع ارتطام المياه في وجهي.... ! خرجت من الحمام وقد قررت أن أعلم عاهد بنيتي هذه. وخرجت من المنزل.

صباح الخير عمي أبو معتصم كيف حالك؟

لم يجب.

هل تأخرت قليلاً.

نظرت إلى المقاعد الخلفية، إنها ممتلئة، اعتذرت من الركاب جميعاً والتزمت الصمت. وعلى الطريق قمت بتشغيل الأغاني، لأني كنت اعلم اني بحاجه إلى خمس أغاني للوصول إلى الزرقاء، فقلت هكذا لم يسمعوني ولم اسمعهم فقد أخطأت معهم. وصلت مع انتهاء أغنية إحساس غالي للمرة الخامسة على التوالي.

اتجهت إلى الحافلة المخصصة لنا، وعدت إلى سماع أغنيتي إحساس غالي، كنت بحاجة لسماعها أربع مرات إلى أن يصعد احمد منصور معنا في الحافلة، لذلك قمت بتحميل الأغنية، ووضعتها في الموسيقى، وضغط على إعادة التشغيل وبذلك جعلت أغنيتي المفضلة جهازاً يقيس لي بعد الطريق. غفوت لفترة من الزمن، صباح الخير:وشيء جلس بجانبي:

أهلا احمد

أهلا عيسى، هل تلعب معي بابجي؟

لا يا صديقي إني استمع للموسيقى

هل استطيع أن استمع معك؟

نعم بكل تأكيد

ما هذا طرب خليجي من الصباح؟

نعم تروق لي هذه الأغنية.

لفترة من الزمن عم الصمت، أردت أن أحدثه عنها، ولم استطع. لا اعلم ما الذي منعني من الكلام..

سألني هل أنت تريد الاستمرار في هذا الدبلوم، لم اجب أحسست بأن السؤال بحاجة للإجابة بعد تناول القليل من الماء. صوت من خيالي قال بأني لا أعلم.

لا يا احمد لا اعلم..... لما هذا السؤال؟

أنت لست بحاجه له انك تضيع وقتك.....

لا العلم نحن نحتاجه دائما، ولا يوجد فينا من ليس بحاجة للعلم.

أنت أدرى بمصلحتك... !

اعتقد لا..... مع ابتسامة

انتهى الحديث لحظة الوصول، ونزولنا من الحافلة، احمد يطلب مني الإسراع في المشي لأننا تأخرنا وأنا امشي والتفت يمينا ويسارا، وإلى الخلف، وأمعن في النظر باتجاه الأمام، وتابعت المسير إلى أن وصلت إلى الهاشتاغ.

التقيت بعاهد وأخبرته أن هناك حديث بعد المحاضرة الأولى قال على الرحب والسعة. دخلنا وبدأت رحلة الانتظار متى سوف تحضر الدكتورة؟ انتظرت رحابا، لتخبرنا أن الدكتورة قادمة، ليست هنا رحاب! أين صديقتها مجد وسارة ليستا هنا أيضا هل هناك أمر؟

طلبت من صديقا يدعى باسل الذهاب إلى مكتب رزان والتأكد منها، هل هي قادمة أم لا؟

بدأت رحلة انتظار جديدة لباسل ولرزان معا، هل خُطِفَ باسل، هل رزان في مشكلة؟لم يأتي أحد، قررت أن اذهب بنفسي للتأكد بعد انقضاء نصف ساعة، اتجهت إلى بوابة القاعة، وإذا رزان بوجهي.

صباح الخير، اعتذر منكم يا طلابي، اليوم يوجد احتفالاً للترحيب بالطلاب الجدد، لن يكون هناك محاضرة قبل الساعة الثانية عشر ظهرا، نظرت إلي وقدمت اعتذار شخصي لي، اعتذر منك يا عيسى فأنت قادم من بعيد، اعتذر وبشدة، أخبرتها انه لا يهم، وقلبي يقول أنني أتيت من اجلها، وليس من اجل المحاضرة.

هناك محاضرة لك ACDL لا تنسى يا عيسى، تظاهرت بأنني كنت ناسي، حسنا يا رزان، سوف أكون هناك شكرا لك، أخبرت المجموعة بأنني أريد الإفطار والذهاب إلى قاعة الرياضة. تناولنا وجبة الإفطار، واتجهنا وكنت احمل بيدي شرابي المفضل (الكود رد) ومع دخولنا باتجاه الصالة كان المدخل مشتركاً للإسعافات الأولية والرياضة، أحسست بأن هناك شيء لي توقفت لمده عشرون ثانية، نظرت إلى الداخل لم أرى شيءً، لكن قلبي كان يشدني اتجاه هذا المكان. لا لا لا يوجد شيء، احمد يقول ما به عيسى ليس على العادة؟

أعلمتهم بضرورة تواجدنا في كلية التكنولوجيا على الموعد المخصص أو قبله. اتجهنا إلى الريشة، ها هي رحاب هنا، ومعها مجد وسارة وإيمان وبعض الفتيات من تخصصات مختلفة. ذهبت إليها وسألتها، هل لك علم بأن اليوم لا توجد محاضرة مع رزان، تظاهرت بأنها متفاجئة، قلت لها إن كنت تعلمين، لما لم تخبريني؛كي لا أتي من المفرق، والمكان بعيد وأنت تعلمين، فقالت لا اعلم مع ابتسامة لم تخلوا من المكر وعدت إلى المجموعة، كان هناك شخص أسيوي طويل القامة هزيل الجسد يرتدي نظارات لا اعلم إن كانت طبية أم لا، لكنه يهزم الجميع على الطاولة ؛ فطلبت منهم أن تكون المباراة القادمة بيني وبينه، ونظرت إليه، وراقبت اللعبة وطريقته في اللعب. انتهت المباراة والأسيوي هذا، كان يعتمد فيها على الإرسال في حصد النقاط، بدأت المباراة بيني وبينه وعاهد معه هاتفي ويصور المباراة، النتيجة أربع له واثنان لي، الإرسال معي، والتفت إلى المدخل، إنها هي، لكني لست متأكد فقد زارني شيء من عطرها، أحسست بنبضات قلبها وشعرت أنها ليست بخير، انتهت المباراة وبقي رصيدي من النقاط اثنان.

وجلست أفكر هل اخبر عاهد أم لا، غسلت وجهي بقليل من الماء، ونظرت إلى عاهد، وأخبرته أن هناك فتاة تروق لي، وأنا معجب بها، وأنه إعجاب فقط ولا شيء آخر. اخبرني أنها ليست من الناس الذين يمكن الحصول عليهم، أو الاتفاق معها، لكن هل هي مرتبطة أم لا؟ أخبرته أنني معجب فيها وحسب، لا اعلم التفاصيل تلك.

نظرت إلى الساعة، تأخرنا الساعة الثانية عشر وعشر دقائق، بصوت عالي لقد تأخرنا يا احمد إن لم تدخلني دعاء للمحاضرة سوف أقع في مشكلة. اتجهنا إلى القاعة وأنا على عجل، احمد: ما بك أن لم تدخلنا لم يفوتنا شيء، وان أدخلتنا شكرا لها، لما العجلة يا عيسى، الهاجس بقلبي (آه لو تعلم يا احمد)، وكان عاهد على عجلة وكأنه هو العاشق ووصلنا إلى الباب، طرقت الباب كالعادة مرة ومرتان وثلاث فتح الباب، دعاء: اعتذر لن تتمكنوا من الدخول، دعاء أنا عيسى، أنا أسف، لم انتبه إلى الساعة وقد كنت في الإسعافات الأولية، أحسست أنها تحركت عند سماع صوتي، أو لحظة إخباري لدعاء أنني كنت في الإسعاف، أو هكذا بدا لي، حسنا سوف أدخلكم اليوم لكن المرة القادمة، لن تتمكنوا من الدخول.

أعدك المرة القادمة لن أتأخر

حسنا

دخلنا وبدأت رحلتي بالعثور على المقعد المطل على صاحبة الشعر الأسود المتدلي، هنا، اجلسوا جلس الجميع وجلس باسل، فحجب الرؤية، اعتذرت من المجموعة، وغيرت مكان جلوسي، أجل ها هي هنا أمامي، ثم حالت بيني وبينها طيبة العراقية و لمى صاحبة الشعر المجعد، تنهدت تنهيدة كادت أن تكسر زجاج المصابيح لخروجها من قلبي، ودعاء تنادي عيسى، هل لك بجلوس هنا على هذا الجهاز كي اشرح لزملائك وأنت تطبق لهم، لا لا أريد فمن هذا المكان لن استطيع رؤية الفتاة، صوت من داخل

قلبي، لكن علي الرضوخ لدعاء بالواقع، ها أنا اجلس أمامها، بينما هي تجلس بجانب فتاة أخرى وبجانب ياسر. يطرق الباب و تفتح دعاء، فاختلست النظر لها، ولا أعلم أن انتبهت لنظراتي أم لا.

كان الطارق فريق من الهولت برايز -آية السلطان- تطلب القليل من الوقت من دعاء، ودعاء توافق وترحب بها وتعرفنا عليها، وأنا التفت إلى الفتاة، هاتفي يرن والبطارية تكاد أن تنفد من شدة استماعي للأغنية اللطيفة، آية تتحدث عن مسابقة، وأنا أريد أن أشارك في الحديث: أنا عيسى الخالدي من محافظة المفرق حيث كل شيء جميل، وأنا آية السلطان، أنا سوف أكون معكم من اجل الوصول إلى قلعة هاري بوتر ابتدعوا الأفكار من اجل المليون دولار.

فقلت أنا امتلك العديد من المبادرات، وكنت قائدا لأكثر من مرة في العديد من المبادرات المجتمعية. هل لي أن اعرف أن السورين يستطيعون السفر من اجل هذا أم لا؟

أجل، إنّ المعرفة والإبداع قبل الفوز ليس لها جنسية يا عيسى.

حسنا وهل نحن ملزمون بعدد معين لكل فريق، قلت ذلك وأنا التفت إلى الخلف.

نعم أنت بحاجه إلى أربعة أشخاص.

حسنا شكراً لك.

واستمر الحديث مع ازدياد طاقة المكان، الجميع يتحدث، وأنا أحاول فهم التمتمة بين الفتاة وصديقها، أغلب الظن أنهم يتحدثون عني، سمعت اسمي مر عبر شفتيها، هل التفت لها؟ هل اخبرها؟ هل اسألها عن ماذا تتحدثين؟

بطولاتي تحدثني: إياك ذلك، إنك اكبر منهم، إنك تمتلك أشياء، هم بحاجه لها، استمرت التمتمة، والتمست عناداً منها على أمر ما، لمّا يساعدني أحد على معرفته حتى اللحظة. خرجت آية، وأعقب خروجها الجليد، الذي كان يخيم على محاضراتنا في هذه الكلية عادةً.

دعاء تقول:شاركوا ولا تقولوا أنكم لا تستطيعون. المليون يستحق المحاولة.... !

أنا، بصوت مسموع سمعته القاعة كاملة، أنا لا احتاج المليون، لكني سوف أشارك، لا توجد الآن فكرة في رأسي، لكن شرف المشاركة يكفيني.

شرف الوثبة أن ترضى العلا

غلب الواثب أم لم يغلب

دعاء تشير إلي بأصبعها، الأمر الذي يدل على قلة خبرتها في التعليم. التفت للخلف هناك محول كهرباء وهاتفي بحاجه للطاقة، سوف أضع هاتفي هنا عند قدميها، وان تحرك سوف تبلغني ساعتي بالأمر. وضعت هاتفي وأنا أراقب إصرارها على النظر باتجاه الأرض، ما بها لماذا لا تنظر ألي، لست قبيحاً؟

انتهت المحاضرة برغبة من دعاء. سوف انتظر خروج الجميع، عاهد متجه نحوي وكأنه يريد إخباري بأمرٍ ما، لكني لست مع أحد، أنا معها كيفا حركت الشعر الأسود من على أكتافها. خرجت و لم تلتفت، ولم تنظر إلي وعند وصولها إلى الباب أوقفها ياسر، وارتفع الصوت عندها، يا الهي ما الذي يحدث، هل شعرت بشي من الضيق بسببي وهي تخبر ياسر به؟ لا إنها مبتسمة وتتحدث وتنظر إلي يا الهي، هل استطيع سحب هاتفي والإسراع باتجاهها. وسحبت الهاتف بسرعة وأسرعت إلى الباب وطلبت من عاهد الإسراع بالخروج، وصلت تلك البوابة اللعينة التي كانت تبتعد عني كلما اقتربت. صباح الخير:

أنا ياسر

صباح النور أنا.....

أنت عيسى أنا هديل

أنا سوار

أهلا بكم جميعا، أنا عيسى من سوريا تفضلوا.

نحن سوف نشارك بتلك المسابقة.

جيد وأنا على ما يبدو أنني سوف أشارك.

حسنا نريد منك القليل من الخبرة.

قلبي ينظر إلى هديل ما هذا الاسم، ما هذا الجمال من أي كوكب سقطتي على كوكبنا الأحمق..؟ هل أنت مرتبطة هل أنت؟ بخير هل، هل؟

ياسر: بصوت لطيف، يبدو انك مشغول.

أنا بصوت ونظرات تخاف من النظر إلى تلك المعجزة، أجل ليست بشرا، إنما شيء غريب وقع وتشكلت تلك الفتاة منه:أنا لست مشغولا بشيء إطلاقا هل لي أن أتشرف بدعوتكم لتناول مشروب (الكود رد)

بصوت واحد، الثلاثة: نعم، لكن لا داعي لشرب شيء سوف نجلس فقط....

حسنا، وكأني أشاهد فريقي يتكون أمامي، إنّ هؤلاء من اليوم وصاعدا فريقي. طلبت من الجميع الاتجاه إلى الكافيتريا في الطابق الثاني.

جلسنا على الطاولة، طلبت من أحد أصدقائي إحضار مشروب الطاقة مع العصير الطبيعي مر الوقت ونحن نتعرف على بعضنا البعض، هم يسألون، وأنا أجيب، وبدا لي الأمر أن هناك فراق قريب بيني وبينهم وسبب الفراق سوف يكون حقيقة أمر أخفيناه عن بعضنا البعض، نظرت لهديل، وعيوني تكاد تنزل دموعا من شده السعادة، توقفت السعادة مع أول نظرة لها اتجاهي...

لا لا لا ليس الآن لا أريد هذه الحاسة أن تعمل الآن، عيونها أخبرتني أنها ليست بخير، أتاني صوت من عاهد بأذني لم يسمعه احد غير الجميع، عيسى نحن لا نملك المال، فأخرجت يدي من جيبي ووضعتها في جيبه كدعوى له للصمت، أريد من عاهد الخروج فقط، والذهاب إلى إي مكان لا أريد الاستماع لأحد، كنت ارغب فقط بمشاهدتها، وهي ترفع يدها على رأسها لأبعاد شعرها عن عينيها التي بدت مرتوية من مرض ما، أو الم ما، لا ليس اليوم يا عيناي أنت تخطئين النظر، ووضعت يدها وعلى شفتيها وكأنها مزارع يقوم بقطف العسل، لا أرجوكِ وعندما سعلت سعالا غريبا شككت أنها تعاني من مرض الربو، إنها ليست بخير، وبدأ اللون الأحمر يغزو عينيها حتى احتل ما يقرب تسعون بالمائة من عينيها.

تألمت قررت عدم الإفصاح بكل أموري، أحسست بأن الفراق قريب، وقد لا يدوم أكثر من أسبوع وان طال به الأمر، لن نكمل تلك المسابقة، قدم عاهد ومعه بعضا من العلب (الكود رد) وعصير راني بنكهة البرتقال

ولجزر، هم فقط كومبارس أنت صاحبة الأهمية، هم لاشيء أنت كل شيء، أخذت العصير من عاهد وسألتها أولا قالت برتقال، قلبي، لماذا تشرب (الكود رد) أنت. وزعت العصير ونظرت باتجاه احمد وبدا للنظرة الأولى انه منزعج من شيء ما... ! لا يعنيني الأمر أنا لم أقم بأي شيء يزعج هذا الأحمق.

بدأ احمد بالحديث قائلاً: الباص.... !

قلبي يقول: عساه(يا ريته) احترق وما طفى عساه الموت للباص.

وأردف أحمد:عيسى يبدو أننا سوف نذهب لا تنسى أن الباص لا ينتظر احد والطريق طويل، الباص

قلبي يهمس:لا ليس الباص أنت يا عيسى يجب حرقك. أجل، أنا سوف اذهب على أن يكون اللقاء بعد غدٍ.

وقفت ومددت يدي باتجاه ياسر كم تمنيت أنها هي من مدت تلك التي تشبه اي شيء جميل سوى أنها يد، خرجت ومعي عاهد واحمد.

من هؤلاء يا عيسى؟

هل سوف تشارك؟

نعم إن شاركوا أصدقائي يا احمد.....

أنا سوف أشارك.... احمد

أنا سوف أكون معكم من بعيد... عاهد

.....

عيسى ما هي خطتك في المشاركة.

أجبت: عاهد، احتلال قلب تلك الفتاة، هديل.

عاهد:أنا أحد جنودك.

لست بحاجة للجنود، أنا سوف أكون وحدي، إنها معركتي وليس لكم فيها ناقة أو جمل.

ازدادت وتيرة المشي باتجاه الحركة، أنا امشي بجسد لا يملك القلب ولا العقل، فالقلب بقي أسيرا من الجولة الأولى والعقل يفكر هل هي الآن بخير، ويأتيني بصور لها تمر على خاطري تارةً، وتارةً تتلاشى يقول قلبي ممنوع التركيز مع احد من الآن فصاعداً، صوت ينادي وبدا أن الغضب أنهكه.

أجننت؟

نعم يا صديقي أنا أصبحت مجنون بها، وقضي الأمر.

أنا لن امشي معك إن استمررت بعلاقتك معهم...

أنا لن أتخلى عنك سوف تبقى صديقي، لكن لست أنت من يختار لي أصدقائي، وأنا لست ملك لك تتحكم فيّ كما تشاء.

صعدنا إلى الحافلة اللعينة، وجلس احمد وكأنني لست معه وطلب مني سماعاتي التي لم يعيدها إلى هذه اللحظة، ووضعها بأذنيه وكأنة طلب مني الصمت، وبدأ بالاستماع إلى أغاني عربية لحنها غريب، لم أتحدث معه عدت إلى أغنيتي المفضلة إحساس غالي وجلست استمع لها، مر الطريق وكأنه عام ونزل احمد، استمرّت في الاستماع إلى الأغنية وغفوت عشرين دقيقة لا أكثر، لكنها تساعدني على استعادة شيء من قواي، أريد الوصول إلى العمل كي اخبر مهيد بما حصل من تطورات جديدة.

أوصلتني الحافلة اللعينة إلى الجسر فقط، وأنا قد طلب تاكسي كريم وهو الآن ينتظرني تحت الجسر، وأنا قد نزلت أعلى الجسر هناك رحلة على الأقدام في انتظاري، وأنا متعب والطقس حار، لا يوجد سوى هواء تلك السيارات المليء بالغازات الضارة للقلوب والتي أدمنها سكان تلك المناطق.

صوت نقاش حاد بداخلي مع الغشاء المحيط بقلبي، يبدو أني وصلت مرحلة الشغف.

لماذا تتحدث عن الغازات اليوم؟على أنها شيء ضار، أليس لأنها مصابة بمرض الربو ولم ترى جهاز الرذاذ في يدها، لا، لا أنا لا أفكر فيها.. ! أنت يا عيسى أناني بالحب أو مع من تحب... أنا؟ من أخبرك بتلك الأوهام؟

عيسى، أنا الغطاء المحيط بقلبك أعرفك جيداً أنت عندما تحب تريد العالم بكامله يموت، وتبقى فقط أنت ومن تحب على هذه الأرض اللعينة....

أنا؟ ولماذا هذا الأسلوب بالحديث...؟

أنت أناني.....

انتهى نقاشنا مع إجابتي على اتصال من كابتن كريم وأسرعت بالمسير باتجاه السيارة وصلت، ألقيت التحية وأخبرته برغبتي بنوم على أنغام صوت هاتفي وغفوت مرةً أخرى، إلى النوم وعند الوصول إلى العمل كنت قد صحوت من نومي، وكان كل ما أفكر فيه، هو فقط كيف سوف اخبر مهيد بالشيء الذي حصل معي دون أن يسخر مني أو يكذبني. ووصلت طلبت من مهيد الابتعاد عني والسبب أنني متعب.

يبدو أن عملك اليوم في الجامعة كان مرهق يبدو انه قد ازداد إقبال الناس لطلب الطوابع والقهوة...

يقاطعه عبيد ضاحكاً

لا، يقولون أنه يبيع القهوة على الرمل وهناك العديد من الزبائن والفتيات الحسناوات

نعم يا عبيد نعم ويا مهيد بالضبط هذا ما حصل...

أريد أن يبتعدو عني فقط حتى أرتاح، فقد بدأت ألاحظ الطاقة السلبية قد احتلت كامل المكان ولا أحب الحديث معهم إلا بطاقة ايجابية لشدة تعلقي بهم. فأنا ومهيد وعبيد لا تربطنا مصالح ببعض، ولا يوجد شيء يستطيع الدخول بيننا نحن نحب بعضنا بطريقتنا، التي تبين لك أننا أعداء لكن لا نسمح لك بالاقتراب منا، مهيد يريد الحديث وأنا أحاول جاهداً إضاعة أفكاره إلى أن رتبها قائلا:

شو عرفت اسمها؟

نعم تدعى أم رأس....

يخيم الصمت ويملأ المكان، وبدأ المكان يستعيد الطاقة الايجابية مع رنين هاتفي إنّه عاهد ماذا يريد؟

أهلا ماذا هناك؟

لا شيء اتصلت من اجل أخبارك أنني سوف أشارك في المسابقة مع أصدقائي في كلية الفنون بمشروع الجديد. وفكرتي.....

يا عاهد...

استغربت الحديث الذي لا يعنيني بشيء ولفترة راودني تفكير لونه أسود قاتم. هل هذا يريد أن يخرب علي بعض الأمور؟ كيف وهو صديقي؟ أنا أعيش في مجتمع كله مهيد وعبيد واحمد لا توجد مصالح بيننا نحن نحب بعضنا، لكن هو ليس من هنا، هل كلهم هناك هكذا؟ هل كلهم هناك يدعون الصداقة إدعاءً؟ وهل هناك شيء أجمل من الصداقة الحقيقية؟ أغلقت المكالمة مع عاهد والعذر كان انشغالي. نظرت لمهيد...

أنا جائع...

وأنا أيضا...

وأنا أيضا جائع...

نحن يربطنا الجوع والصدق، وسوف نتحدث بموضوع هديل بعد الأكل و تراجعت لا، لن اخبرهم بالأمر....

اتصل مهيد واخبر المطعم بجوعنا... بعد تناولنا الطعام، تابعت العمل إلى أن أصبحت الساعة الحادية عشر، وطلبت منهم إغلاق الأبواب، واتجهت إلى المنزل ومرّ يومٌ جامعة.

العمل يصبح معشوق

استيقظت واتجهت إلى الجامعة، اليوم سوف يكون حافلاً، اليوم سوف نتحدث عن كل شيء مع أني التمست الفشل والحزن من صباحي الغارق بالمشاكل، أوصلني كابتن كريم إلى بوابة الجامعة واتجهت إلى الدكتورة رزان لأخبرها أنني في الأسبوع القادم ملزم بالدوام مع المجلس النرويجي ومكان العمل بعيد جدا، ولن أتمكن من الدوام إلى السابع من شهر نوفمبر، وافقت لالتماسها الصدق في الحديث على أن احضر كتاباً من المنظمة لها، وافقت وأكملنا المحاضرة وكانت درساً عن القواعد، ولكن في الواقع كانت كيف تحضرين التبولة وزوجك لا يوبخك؟.. مليئة بالطاقة الايجابية الغير مفيدة، وصوت بلدي يقول:ما هيني اعرف اعملها بس الرّجال ما يحبوا غير الأجانب. أجل فرحاب ورزان يتناقشان عنا نحن معشر الذكور، وكأننا خلقنا فقط للأكل وممارسة الجنس المفروض علينا. كان لدي الرغبة بإيقاف الحديث.

رزان... نحن الرجال لا نفكر فقط بالأكل، لكننا نحبه ونحب من يتقنه، ولا نفكر بالنساء بقدر ما هنّ يفكرن فينا، لكنا نمتلك الكثير من المشاعر، وفي النهاية نحن عون لهن وسند لهن، ونحن إذا أحببنا يصل الحب بنا إلى درجة العبودية يا رزان.

رحاب: ليس الجميع، يا عيسى

وانتنّ لستنّ جميعكن مثاليات

رزان: لا تتحدث وكأنك مثالي...

أنا لست مثالي لكن نحن الشباب إن خدمنا الفتيات قلتم عنا، خروف، وإن تركناهنّ يتعذبن قلتم إننا لا نمتلك الضمير وإن أحببناهن بصدق قلتم سحرته، وان خناهنّ قلتم عينهم فارغة.

رزان:..... !

أنا لست مثالي يا رزان، لكني لا أحب التعميم بالحديث، فنحن وإن كنا قاعدة فينا الشاذ، أليس صحيحا؟

نعم أنت شاذ يا عيسى عن القاعدة..... !

لماذا؟ بابتسامة فيها قليل من العتب.

لأنك أبيض وتملك قلباً أبيضاً...

أشكرك انزين(جيد جدا). متى سوف نعود لقواعد الماضي القريب؟

انزين(حسنا) هسى

جيد على ما يبدو أنني امتلكت لقب الأبيض. انزين (جيد)

وهذا الأمر ليس جيداً

وبعد حصة شاقة والكثير من الأمثلة عن الماضي القريب، رزان تطلب مني أن اقرأ لها نصا باللغة الانجليزية ورزان تعرف أنني لا أجيد الانجليزية؛فأنا لغتي الثانية هي الفرنسية، ولم ادرس الانجليزية قط...

بدأت بالقراءة والتلعثم بإسقاط حرف G وحرف Q في الكلمات الانجليزية، وترافق ذلك مع ضحك بعض الشباب والشابات من خلفي ومحاولات من صديقي عاهد لمساعدتي في النطق السليم، ورزان توبخ الجميع وتطلب مني القراءة مهما كان الأمر، أحسست بشيء غريب أنا سوف أكمل القراءة، لكن لماذا أنا!

رزان: شكرا يا عيسى جيد، حاول واستمر، أنت تستطيع، لأنك تريد التعلم.

أنا أريد من تلك الأرض أن تنشق وتبتلعني؛فأنا محرج من أصدقائي. أنا لا أجيد القراءة، أنا لا أريد شيءً، أريد الوصول إلى هديل فقط، والخروج من هذه الجامعة التي ليس فيها شيء مفيد غير تلك الفتاة فهي تجلب السعادة. انتهت تلك المحاضرة وتخيلت ملامح تلك الفتاة الساقطة من كوكب الملائكة إلى كوكبنا المشئوم والمليء بالسخرية والاستهزاء بالآخرين وإلقاء الفشل على من رحل، والترحم على من كان يشتم قبل الممات وقذف هذه وتلك وعدم تلافي المحصنات.

اتجهت إلى الطابق العلوي مع عاهد وجلسنا، وبدأ الحديث عن الهولت برايز وما هي الأفكار واخذ المشورة مني. أنا لا يوجد ببالي شيء لكني، أبلغت احدهم عن فكرة الأشجار وكان موظف كبيراً في سوريا؛ يستطيع أن ينجح بالأمر، وهو بدوره قام بالتشبيك مع العديد من المنظمات، وأنا أريد قدوم هديل و ياسر والنظر بما قاموا به من اجل المسابقة...

اتجهنا إلى العلوم والتكنولوجيا وألقيت عليهم التحية وكانت عيون هديل اليوم لا تبدو بخير، وشعرها ليس على العادة، ألقيت التحية على الجميع وكنت استخدم التحية للفة النظر، إنني هنا، لكن هذا الأمر ليس لهديل به شأن، رد الجميع واتجه إليّ الكثير من الشباب والفتيات.

نعم أنا مشارك.

نعم أهلا.

نعم أنا لدي فريق.

لا أنا مع فريقي.

الجميع يحدثونني، وأنا لا أريد الحديث مع احد سواها، وهي جالسة ليس بمكانها المعتاد عند البوابة، لا اذكر ملابسها؛ لأنه لا قيمة لتلك الملابس بدونها، لا شيء يمتلك القيمة بدونها، لا أريد المبالغة بالقول، لا

قيمة للدبلوم بدونها نظرت إلى الشخص الذي كان على ما يبدو مهتما جدا بملابسه وتبدو ماركات معروفه لهم في منطقتهم، ولا أريد تفريق المناطق، إلا أنّ ما يتم لبسه هناك لا يشترى عندنا بخمسة قروش والعكس غير صحيح... !

جلست بمكان يطل عليها لا أريد أن انظر إلا لعينيها، التي استطاعت أن تسحر قلبي وتسلبيني روحي وما حولها، لكني لا أريد أن اجرحها بعيني كوني امتلك نظراً حاد أو كما يسمونه بعيد. جلست وأنا أتأملها وكأن قلبي يقول لها هل النظر بعينيك حرام؟ هل هذا منكر في ديننا؟ هل أجد من يخبرني بأن النظر إلى الجمال عبادة؛فأنا الآن أمارس طقوسي الخاصة في العبادة.

واثناء الحديث عن المسابقة، تقدم شاب ليخبرنا بأن اليوم لن تكون هناك محاضرة.... لا يا صديقي فأنا الآن تمترست في متراسي هذا وأنا الآن أراقب العدو العزيز عن كثب، لا لن ننسحب ونترك العدو وحيداً، سنقف في صف الأعداء من الآن فصاعداً، ، وإن كان كل عدو مثلها؛فأنا مرحب بالاحتلال الغاشم. لم يزعجني أمر في بادئ الأمر سوى أن اسمه احتلال، لكن هذا حلال بالنسبة لي وقلبي الذي امتلك هذا الحب، من حقي أنا؛فأنا فقط ورثته عن وعدٍ أطلقه قلبي ووقع عليه بدمي.

بقيت أنا وهي وياسر وصديقتهم صاحبة الكلام اللطيف. تقدموا نحوي وأنا أقبلت إليهم. هل هناك نزال أم هناك مبارزة فارسٌ لفارس أم

أنكم ستنفردون فيّ. صوت عاهد يقول:شو فكرتكم، و دخلت معه الطمأنينة.

أهلا بكم واتجهنا لا إراديا إلى الطابق العلوي من الكافتريا حيث أن هذا المكان قد منع فيه التدخين وسيكون ملائم لها، ستكون هنا بخير، لكني لن أتمكن من شرب السجاير. اخبروني عن ثلاث أفكار، كتبت جميعها بقلمها الغريب صاحب اللون الفاتح. أريد فقط لحديث عن فكرتها بعدة أسطر. الأنامل الجميلة، انتهت الأسطر ولم تساعدني عن سردها لكم، لكنها فكرة تكاد أن تكون أجمل ما قد تفكر به؛لأن الخير ومساعدة الغير بدت في تلك الفكرة، أجل نحن الاثنان نحب عمل الخير، هذا ما ابحث عنه.

اجتمعنا نحن الأربعة على الأنامل ومع كل لفظ لكلمة أنامل يزورني التفكر بأناملها، قد أكون مبالغ بقدر واحد بالمائة، لكن ستعجز، وأنت تصف جمال أصابعها التي يلاحظ عليها الشاب أن الفتاة تعمل، وليست مدللة كباقي الأصدقاء أجل أصابعها تثبت أنها تعمل لكن ما هو العمل، و لماذا تعمل لا ادري. طلبت منها أن تسجلنا نحن الأربعة على أننا فريق فاختارتني قائدا لهم... لم ارفض لأنني أدركت أنها هي من تريد أن أصبح أنا القائد لهذا الفريق، أو أن تنجح بالفكرة؛ فهي طامحة للسفر وللمليون المرجو من بلاد ما خلف الغيوم وبعض البحار.

أردت أن أكون بجانب الفتاة، التي يتغير اسمها مع لون أصابعها، الذي بدا كأنه حنطيّ، اكتشفت عندها أنها ليست بيضاء كما اعتقدت، وأمعنت بتلك الخدود التي بدت وكأنها ثمار السفرجل، واختفت مع تلك النظرة جميع ما كنت قد حلمت فيه، أجل هي من تنبئ فيها عالم الأبراج وقال الشاعر واصفاً:

اصولها عربية وليست فرنجا
ولا فيها تنبئ عالم ابراجي
تقل حمرا خدوده من ثمر طنجا
جبين ووجنيتن ووجه وهاجي

أجل إنّ هذه اللحظة الأولى، التي انظر فيها إلى وجها. الجميع يتحدث، وأنا أشاهد فقط، أنا أريد النظر إليها، لماذا هذا التشقق في شفتيها، فقد بدا عليهما أعراض الزكام. وفي يدها أساور سوداء، وعيونها اختلط سوادها ببياضها لم اعرف لون عيونها بتعبير آخر، لم امتلك الجرأة على النظر في عينها ليس خوفا بل خوفا عليها أجل هي ليست بخير، الفتاة تعاني من الكثير من المشاكل، ومعها هاتف وصفته لا إراديا بالزبالة، ووعدتها أن أقدم لها هاتفاً، لم ترد، لم تسمع، لم تكترث..... !

انهينا الجلسة واحتفظت بالورقة، التي كتبت عليها جميع الأفكار، وطلبت رقم هاتفي وأعطيتها الهاتف لتسجل رقمها، فطلب مني عاهد الخروج إلى الحافلة، فخرجنا ونزلت هي إلى المطعم، لتناول الإفطار، ونزلت أنا وعاهد إلى الحركة. هنا أنا بخير لم يأتي احمد كما وعد جلست

وحيداً ووضعت سماعتي بأذني وعدت إلى الاستماع إلى أغنيتي، وأغمضت عيني وصحوت عند باب العمل...

اتصل فيّ ياسر وقال سلام يا عيسى، أجبت أهلا بك، صوت خافت من بعيد داخل السماعة سلام، هديل، كيف حالك يا هدول؟ أهلا، أهلا دار الحديث عن موضوع لا اعرفه، لا اذكره، لا أريده لا يعنيني بقدر ما يعنيني سماع صوت تلك الساحرة. انتهت المكالمة وخلدت إلى النوم، وقد أنشأت كروباً على الواتس اب وكروبا على السناب شات وصحوت من نومي، لم أجد إلا سوارا وباقي الكلمات التي اعتبرتها ناساً، جلسوا معي في ذلك العزاء، عثرت على ظرف من هديل كتب فيه أنها سوف تنسحب من اجل إعادة التوجهي، وهناك نية سفر لبلاد تدعى موزنبيق، وياسر ترك خلفه رسالة تقول أنّه سوف يسافر مع احدهم إلى بلد اعتقد أنه أميركا وسوارٌ كانت تجهز الظرف قفي إلى أين أنت، أيضا؟

أنا مسافرة

أنت اذهبي، ولطفاً أغلقي هذا الباب...

خرجت عم الهدوء عدت للنوم، حلم من بعيد، ها أنت عدت كما بدأت لوحدك، ليس معك شيء إلا أنك قد اكتسبت جرحاً جديدا، ولن تبرئ من هذا الجرح أبدا، لكن سوف أقف من جديد، أانتهى الأمر بك

هنا، هم رحلوا، أنت اخترتهم، انتهى كل شيء بسواد كبير، اتصلت بمركز الدراسات ، قررت إنهاء الدبلوم.

رزان: ماذا أجننت لن أوافق والقرار معي.

حسنا عند عودتك من السفر سوف أخبرك بشيء حصل معي قد ينهي كل شيء جميل.

هل ستنتهي حياتك الجميلة؟

بالطبع لا ، هذه بيد الرحمن.

إذن لن ينتهي شيء اعتقد أنها بداية جديدة.

فكرت للبعض الوقت.....

وبعد قليل، يرن الهاتف والمتصل من لا اعلم....؟

عيسى؟

نعم من المتحدث لطفاً؟

أنا آية السلطان من الهولت برايز..... !

ماذا تريد تلك الإنسانة مني؟

هل أنت هنا أم إلى الآن مسافر؟

أنا هنا لكن لست بخير.

سنتحدث لاحقاً اعتقد أن هاتفي الآن، يزعجك ولا أريد أن أتحدث لشخص مثلك، وهو ليس بكامل طاقته.

حسنا لنا للقاء قريب

إلى اللقاء

أغلقت الهاتف. لم انم يومها، لا أريد أحدا أن يراني ولا أريد من أي شخص أي شيء. أقبل إلي الشخص الذي سيصبح صديقي. عبد الله الصديق المخلص الذي ينقذك وأنت على حافة الهاوية، كانت مهمته في الحياة إنقاذي، والوقوف بجانبي رغم أننا أنا وهو تقع مشاكل بيننا، ويعجز عن المشاهد لتلك المشكلة الحل، لكن سوف يتعرض للصدمة في اليوم التالي فأنا وهو نتعانق يومياً. ألقى التحية وطلب فنجان من القهوة لي.

وقال:

هل لك بوصفها

ابتسمت لا شعورياً وأشرت بيدي على طولها، وأخبرته عن شعرها الأسود وعيونها الساحرة وأدقّ تفاصيل وجهها إلا أنني ذكرت الأمر الذي كنت أتجاهله، وأنا أتذكرها لن أفصح عنه الآن، لأنه زادها جمالاً في ما بعد، وطلب مني عنوان منزلها، أخبرته أنني قد تبعتها مرة، وقد نزلت في مكان أشبه بأرض القمر، مكان فيه بناء ضخم، وشخص يأمر السيارات بالإشارة، وكان قريبا من قلبي هذا المكان، لكن لا اعلم أين هو. قال: كيف أساعدك، أخبرته بأنني لا ارغب بمساعدة أحد، أريد أن ابتعد بعد قرارها بالسفر نظر إليّ وقال إن سافرت سوف اطلب منك بتر يدي....؟حدثته عن فكرتها بهولت برايز، قال: أريدك أن تكمل فكرتها، كي تشعر انك مهتم، ولا أريدك أن تظهر الكسر الذي أصابك بسببها، وافقت على إتباع نصيحته، سوف افعل هذا. سوف أكمل ذلك الدبلوم الكئيب، مر شهر بدون أي معنى، وتلاه أسبوع أطول من الشهر.... ! الأيام تمر بدونها، وأنا من يوم ذهبت، توقفت حتى عن تقليم أظافري يا عبد الله، أنا مهتم جدا فيها ولو أنني لست مهتما لما أكملت الفكرة، فلا تخبرني عن الأيام، أنا خير من يعلم أن الأيام، ستمضي في حلوها ومرها، ستمضي، وخرجت وبدأت ارتب شعري قليلا، ونظرت إلى المرآة، يجب أن أعود كما كنت يجب أن أقف.

الإهانة

الرياح تجوب الجامعة والبرد قد غير معالم وجوهنا، كنا جالسين أنا وصديقي احمد، وكان هناك ضجيج في الخارج نظرت لأصدقائي جميعا، وهم حولي، عاهد هنا وباسل هنا لست مهتم بما يجري خارجا. نظرت إلى عاهد أخبرته أن صديقنا المدعو ميم، قد افتعل شجارا مع أحدهم من أجل الفتاة التي يحبها، وأنا جالس في مكاني... خرجنا لنرى ما الذي يجري خارج القاعة أو الكلية. نظرت وأنا امتلك الطول الذي يسمح لي بالنظر بعيداً، أخبرتهم أن الجميع قد اجتمع لنظر بأمر صديقنا المسكين ميم، اتجهنا جميعاً إليه وعند الوصول، خر ميم ساقطاً على الأرض مغمياً عليه. ولا علم كيف توقعت أنه هو من أسقط نفسه، أنّ هو من تسبب بتلك المشاجرة لكني كنت أراقب تصرفاته الكترونية، وقد وصل إلى مرحلة السقوط، من اجل عودة أحداهن إليه. أردت المساعدة، أخبرت الجميع، أنني استطيع المساعدة، أنا امتلك مهارة الإسعاف الأولي، أخبرت الدكتورة رزان بأنني استطيع المساعدة، واتجهت أليه ولحظة وصولي عنده، وضعت يدي في جيبه، كمهارة لتحقق من أن الشخص مغميا عليه أم أنّه يدعي ذلك، فإن تحرك خائفاً من السرقة فهو كاذب، وان لم يكترث يكون غائبا عن الوعي، فشعرت بحركته، نهضت من عنده وأخبرت الكادر بأنه يكذب وغادرت المكان، ونظر الجميع إلي أخبرتهم باللهجة البدوية إنه جداب (كاذب)؛فهو بكامل وعيه وليس هناك شيء يدعوا للقلق، وحصل صديقنا

ميم على اسم جديد الجذاب. خرجت من باب الاستشارات وإذ بهديل قد دخلت واضعه أناملها الجميلة على أذنيها متعجلة في خطوات أقدامها. احمد وعاهد بصوت واحد:انظر من؟ نعم، نظرت إنها هدول بابتسامه لطيفة، لم تسافر. لن تسافر أرادت التخلص من وجودي معهم فقط، تمنيت لو أنها أكملت معنا مشوار الهولت برايز لكن ليس لها فيه نصيب.

عاهد:هل مازلت باحثا عن شيء يربطها بك.

عاهد فلتكن شاهد على هذا:سوف تعود إليّ وأنا وقتها سوف أخذ حقي منها ومن صديقها المزعوم، وعبر صديقتها اللطيفة.

عاهد: أنا مستعد للرهان.... !

لك مني ايفون ماكس اس إن لم ترها معي.... !

حسناً موافق هل تريد إيذائها؟

لا يا عاهد أنا عيسى لن أؤذي تلك الفتاه، لكن سوف يدفعون الثمن، كما فارقونا لمدة أسبوع من وقتنا الثمين.

أنا لا أتخيلك تؤذي أحداً... !

لن اقترب منها، لكن سوف أعيد الشيء الذي سرقوه مني...

ما هو؟

قلبي يا صديقي، أنا الآن، أعيش منقوص القلب، كما ترى.

...؟ لا تستغرب يا عاهد سوف أقف ولن اسقط كما سقط صديقنا هذا.

أنا معك ولن ادعك تسقط يا عيسى لكن أنت تستحق أجمل صدقني.

أنا اعرف انك تحاول إبعادي عنها، لكن إما هي أو لا غيرها أحد صدقني.

وحيداً، مر شهر والقليل من الأيام، لم اشعر فيها، إلا أنها أيام، وتمضي بساعاتها، وكأني لم أكن على قيد الحياة، فمروها أصبح فقط سير لعقارب الساعة، ولا انتظر من الحياة إلا اللحظة التي ينتظرها رجل كبير في السن وهي لحظة قبض روحه و المغادرة من هذه الحياة، أجل فالجرح كبير وكبير جدا؛فلقد كانت حياتي التي طال انتظارها وبرحيلها لم أتخيل الحياة أن تكون ذات جدوة.

العطر

جالساً وحدي على ذلك الدرج الذي كنت أفضل الجلوس عليه وحيدا، انسحب عاهد هذا الفصل واحمد لم نلتقي أنا وهو منذ مدة، بدت مواد الاختصاص تلوح في سمانا، وقد تعكر كل شيء مع ازدياد عدد ساعات المحاضرات، وقلة تواجدي مع أصدقائي، وأنا جالس في مكاني واشرب شراب الطاقة الخاص بي، وكأن أطباء العالم لم يخبروني بأنه قاتل وضار، وأنّه تسبب لي بالعديد من المشاكل الصحية والنفسية. اقترب مني عطر لم أتلذذ بشيء أجمل منه في تاريخ حياتي الطويل رفعت رأسي لتقف الشمس بيني وبينه، كانت شمس لطيفة، حاولت النظر والتتبع لأجد من كان صاحب العطر، لم أجده أين اختفى، ذهبت إلى الكافيتريا، سألت الموظفين الذين يعملون عندي هل رأيتم شيء لي. قالوا لا اتجهت إلى البلي أستيشن، وتجولت إلا أن حل التعب فجأة، سقطت وأنا لست بكامل الوعي، أخبرتهم بأنني أعاني من نوبة تسارع طلبوا مني الذهاب إلى المدينة الطبية وكنت قد اتصلت بسائق كريم الذي لم يتأخر، واقلني إلى الطبيب وفي يدي زجاجة (الكود رد)

قال لا لن افحصه إنه يشرب الكثير من (الكود رد) واعتقد أن نبضات قلبه وصلت إلى الذروة، وقد تجاوزت المائة والخمسون، والساعة في يدي تخبرني كل دقيقه بأنها لم تستطيع القياس، أو القراءة، أنا اعرف السبب

إنها أكثر من مائتين ولن تتمكن من القياس هذه القدر، جلب الدواء وأنا لست معه أنا هناك، من كان يستخدم عطرها؟ هل سقطت في أحضان أحد الأصدقاء ومر عطرها عبر ملابسه، لا، لا، لا أنت الآن لست عيسى.....

اخبرني الطبيب بأن الاختلاف في نبضات القلب سببه (الكود رد) والخوف الذي أعيشه، سألته هل الحب مسؤول عن شيء من هذا. قال: لا أنت خائف وتشرب الطاقة

وطلب من السائق الخروج..... ! بدأ الخوف، هل سوف أموت قبل أن أعطي عاهدا الهاتف؟ هل سوف أموت بدون قلب، وهل يجوز دفن المسلم في مقابر المسلمون بدون قلب؟

هل هناك أمر يشغلك؟ هل أنت واقع في مشكلة وتخاف منها؟ هل هناك شيء ارتكبته وخائف منه؟ اخبرني.

لا، أنا بخير وأنا عاقل بدون قلب، تزداد نبضات قلبي بسرعة جنونية، وقلبي معها هل هذا يؤذيها يا هذا؟

لا، لا تفكر الآن إلا بنفسك....

لا استطيع....

هل ارتكبتم خطأ أنت وهي ومن هي؟

إنّ هذا أشبه بشتيمة في بلدي، ارجوا منك أن تنتبه لكلامك، أنت طبيب ولست صاحب حانة أو مصلح اجتماعي.

حسنا، يمكنك اخذ هذا الدواء معك من أية صيدلية

حسنا.

وخرجنا بعد أن قام صديقي محمد بمحاسبة الطبيب، واتجهت إلى المنزل وأنا لم احسم أمري مع رزان بإنهاء الدبلوم بعد، لكن قررت أن أتغيب عن الجامعة. مر شهر وتلاه الآخر منقوصاً ثلاث عشر من الأيام.

عودتي

وعدت، اليوم الطقس مشمس، احمد معي كنا جالسين بمكاننا المعهود، نحاول أرضاء الفتاه التي جذبت انتباه احمد، أنا متأكد أنها لها الرغبة في الحديث معنا، لكن أنا واحمد نعاني من اكتئاب شديد، وقد وصل بنا المطاف إلى أننا، قد أيقنا أننا أنا وهو لسنا بحاجة لأحد معنا، وكان لدينا العديد من الأصدقاء، لكن نحن مكتفين في بعضنا، بدا الأمر في البداية، بأن الناس تتجمع أمامنا في ساحة الجامعة أمام الهاشتاغ المشئوم. فإذا هو احتفال لواحدة من الشركات السعودية، إنها شركة بابريكان، التي كانت تجهز مضخمات الصوت، اليوم جامعتنا اللطيفة سوف تتصدر هاشتاغات مواقع التواصل الاجتماعي، فأخذت تغريدة استبق بها الحدث مع ذكر اسم الشركة في التغريدة وقلت فيها:رقص في جامعة العلوم التطبيقية، والراعي بابريكان. وجلسنا أنا واحمد وبدأ التأمل لذلك الحفل واختلاس النظر لهذه وتلك، والنقاش عن تصرفات بعض الطلاب، وكيف أنهم مستعدون لهذا الكرنفال. وأنا بنظرة تجاوزت فيها المائتين متر، وجدتها، إنها هناك مع صديقها، وبيدها علبة من الشراب الموزع مجانا، وأنا واحمد بيدنا علب لنفس الشركة، لكن قمنا باختيار نوعا ليس مجانيا ، كي نبدو بمظهر عدم الاكتراث للمال، كم نظرت لأناملها وهي تمسك الزجاجة! كم انتظرتها حتى تشرب! كي أتمكن من مشاهدة عنقها، الذي يشبه كل شيء جميل، عدا أنه عنق بشري. وكانت

المسافة تقل إلى أن انطلق الحفل، وبدأ الجو بازدياد الصخب، الطلاب المنهكين من الامتحانات التي لم تزورنا، لكن بدا الأمر كأنه إخراج لكل الطاقة السلبية من الجسم وتحويلها إلى طاقة ايجابية، حتى لو كانت غير هادفة، فهمت تحذير احد المدربين حول هذا الأمر، كنت أحاول أن أخذ اكبر عدد من النظرات إلى تلك الفتاة، وانتظر متى سوف تنتهي من شرب الشراب؛ للحصول على زجاجتها ، كانت لديّ الرغبة بالذهاب إلى النفايات من اجل الحصول عليها، أجل سوف احصل عليها، وسوف أميزها من عطرها النادر، للحظة اختفت وكأنها ليست موجودة بالأصل، لكن فريقها كان بكامله يمسك هواتفه، ويقوم بالتصوير، وهاتفي كان بحوزة رحاب تقوم بالتقاط بعض الفديوهات والصور. رنّ هاتفي الآخر، المتصل عبد الله يطلب مني الحضور إلى المفرق بالسرعة القسوة، طلبت هاتفي من رحاب، واتجهت إلى كابتن كريم، وأخبرته: أنني أريد الوصل إلى المفرق بأسرع وقت ممكن، وعند وصولي اخبرني عبد الله انه كان يحاول جلبي بأية طريقة، ولم يحدث إي شيء. انتهى الاحتفال الغريب بأمر غريب، و اكتشفت في ما بعد بأن الاحتفال انتهى بمشكل بين المنظمين وموظفي الحماية داخل الحرم الجامعي.

وبعد مرور عشر أيام وأنا جالس بمفردي في مكاني المعهود، زارني عطرها مرة أخرى، وبكمية كبيرة إلى أن فقدت حاسة الشم، وحجبت النظر عني، ولم أعد أرى، رفعت رأسي من اجل معرفة ما حصل، شاهدت أمرا حلم به العرب والغرب، القمر يمنع الشمس عني، بل أني أشاهد

الشمس والقمر معاً، ومعهم أحد الكواكب، و التي ألقت التحية، لن أصف التحية، والرد على تلك التحية.

ابتسامة

أردت الحديث هنا عن شيء من ذلك الجمال، الذي سحرني وسرق قلبي من جسدي، وانتم لكم الاستماع فقط، وليس الانتقاد كحال كل البشر، أنا امتلك من مهارات الاتصال والعلاقات الاجتماعية، والثقة ما يتعب قلبي، ويجعلني اشعر بكل ما تفكرون فيه اتجاهي أو غايتكم من السلام علي، أو التعرف علي، أو إنشاء صداقة معي، كنت اشعر عبر النظر مراد السلام، أو عبر السمع غايتك من الاتصال قبل أن تطلب مرادك، كنت استطيع تلبيته دون الحاجة للحديث. أجل لكنّ هذه النعمة، كانت تسبب لي الكثير من المتاعب والألم، سوف أوجز لكم نحن معشر البشر نحب من يتعبنا من اجل الحصول عليه، أو نحب من نتعب من اجل الحصول عليه، ولا تقولوا أن هذا الكلام لا ينطبق على المال لأننا جميعاً نحب الحصول على المال دون الذهاب إلى العمل، أجل هذا صحيح، لكنه لا يحدث ونحن نحب المال لأنه يتعبنا في امتلاكه، أجل نحن البشر نحب كل شيء ممكن أن يجرحنا أو يتعبنا حتى إن وصل به الأمر إلى قتلنا، لكننا بنفس الوقت لا نقدر جهود من يتعب من اجل الحصول علينا، ولا نحترم ذلك الإنسان بحجة أنّه رخيص، ونحن نحب غالي الثمن، ولا نحب الرخيص وإن لم تنطبق على أحد منا تلك الصفات؛ فيتوجب عليه مراجعة الطبيب، أو النظر في تصنيفه كبشر.

أريد الحديث عنها وعن صفاتها، لكن لا أعدكم بالإيجاز أو الاختصار فالظفر المكسور في إصبع قدمها يعاتبني لعدم وصفه، وإعطائه حقه بالوصف فلطفاً اعذروني. سوف أصفها بعيني أنا، ولا يحق لك أنت بالنقد أو تصحيح الأخطاء التي وردت في الوصف، إنني اصف لكم ما شاهدته عيناي، وليس لي شأن بعيونكم البائسة، إنها تمتلك غطاء يصل إلى كتفيها، له لون ليس موجوداً في ألوان قوس القزح، لهذا لم أحب قوس القزح في حياتي كلها، وإن هبت نسمةٌ من الشمال التف الغطاء، وكأنة حرير نسجه القز ومات بالسم، ولم يستطيع علماء الاستنساخ إيجاد تركيبة لذلك القز أو إعادة الحياة إلى القز، وان شئت فهي الوحيدة القادرة على إعادة الروح لمن تشاء بما في ذلك روحي، التي خرجت عند أول لحظة شاهدتها فيها، ولما تعود إلى الآن، وإن غرست يدك بين خصلات شعرها الأسود انسل الشعر هارباً، وكأن كل شعرة كرُيةً بيضاء مهمتها الدفاع عن ذلك النسيج، وباتت أصابع يدك واضحة، وكأنك لم تلمس شيء، وكانت تمتلك عطراً صنعه عطارٌ، ولد بباريس، وبعد أن استخرج العطر غدر به صاحبه وقتله، واختفى العطر وطريقة صناعته، ويجوب الشعر على كتفيها وكأنها جوادا عربيا تارةً يميناً وتارةً في قلوب الناظرين، أجل فتلك الفتاة ليس لها شمالا. وان نظرت إلى جبينها، عاد بك التاريخ إلى حروب الإغريق مع مملكة طروادة، أجل إنه شاطئ طروادة، لمملكة التي مات على أبوابها ألاف اليونانيون في محاولاتهم الفاشلة من اجل اقتحامها، ولم يستطيعوا لولا المكر.

وكأني أشاهد سيفان عربيان صنعا من الفولاذ المطلي بالذهب تحت جبينها، باتا في استعداد للمعركة وسلت السيوف وصقلت واستعدت لطعن من تشاء تلك الأميرة، وكانت تلك السيوف تقف بوجه من ينظر إلى أجمل ما شاهدت عيناي، وهي أيضا تمتلك من اثنتين من المجوهرات، التي مزجت فيهما مياه المحيطات من هيبة الساحل الأطلسي إلى أصالة ساحلنا العربي إلى عنف المحيط الهادي، وكأن المحيطات تروي تلك المجوهرات، وان دققت بالنظر، سوف يصلك الإعجاز في فصل بحرها الأبيض عن الأسود عربيا أحور حور بحور وقد قالها الشاعر الأموي، جرير:

إنّ العيون التي في طرفها حوُر

قتلنا ثم لم يحين قتلانا

وتستقر بين تلك المحيطات والبحار دانةٌ، استخرجت من وسط تلك الدانة العربية من شاطئ الجميرة قبل اتحاد الإمارات. ونشأت زايد رحمه الله، وقام البحّار ببيع الدانة لتاجر من أهالي الخبر، وأهداها التاجر لزوجته، التي قامت بإعطائها لصديقتها، التي كسرتها بعد مشاهدة هذه الفتاة، وطلبت من زوجها إحضار مثل ما شاهدت في عيون تلك الطفلة ولم يستطع إلى الآن. وإن أمعنت النظر داخل تلك الدانة ستشاهد النيل يسقيها، وكأنها الرشيد بمصر، وسترى إعجاز الخالق في عينيها بل في اصغر تفاصيل عينيها، ولثوانٍ قصيرة ستشاهد خسوف لذلك القمر خلف

ستار، وأنت تحاول إقامة الحرب مع هذا الستار، وإذ به جفنٌ لا أكثر و كل ما تحدثت به كان رفّة عين لا أكثر. وكانت تملك وجنتين، وكأنها حبات سفرجل قطفها مزارع من ثمار طنجة بلطف خوفا على السفرجل النادر، وتحدث مع السفرجل باللهجة القرطبية، وأخبرته حبة السفرجل أن الشجرة، لم تعد مؤهلة لإنتاج الثمار بعد الآن، والسبب كان لعدم وجود الأربعين الذين يشابهون ذاك الثمر.

وللحظة راق لي كسر البروتوكول الدولي، وراودني التفكير بالطلب من مجلس الأمن الدولي عقد قمة طارئة، ولم تكن هناك حروب أو مشادّات بين الدول التي تحدث بينها حروب من فترة إلى أخرى؛ فهناك من استخدم سلاحا محرما دولياً، ليس بقنابل عنقودية أو بقنابل نووية، إنما هو شيء يقتل الناظرين، شيء، لم يستطع شعراء العرب وصفه، أجل إنه شفتاها الموردتان، كانت قد قتلت أهلها بألطف ابتسامة لم يعرفها تاريخ العرب والعروبة ولو أن آخيل بيليوس شاهدها لما اختار المجد وعاد لوالدته وأخبرها أنّه لن يعد للمجد إي معنىً. وأنا لست بذلك الفارس أو الرجل الذي يقاوم مفاتن هذا العصر وأيقنت بمرور الوقت أن قتلها لمن يشاهد هذه الابتسامة، كان كرحمة منها لان الفتنة اشد من القتل. وإن استمررت في النظر لهذه الفتنة، لن تقاوم اللؤلؤ المصفوف مابين شفتيها وكأن اللؤلؤ يشع مع نسمات الرياح، التي تعانق خصلات شعرها، فتخشى أن تبردها تلك النسمات؛فالبرد يحب الجمال وهي آية من الجمال. في يوم ما قال أحد الشعراء:

شربتك من الحب كأس وراء كأس

نعم سيدي الشاعر، أنا استنشقت حبها مع الهواء الذي يحتاجه جسدي للوقوف، لكن غيابها عني قتلني في اليوم ألف مرة، أنا اليوم بحاجة لها أكثر من الوقت الذي انقضى.

عودة الروح المسلوبة

جالس وقد اقترب رحيلي من تلك الجامعة، كنت في هذا الوقت اقضي معظم أيامي وحيدا بعيدا عن الأصدقاء؛ فلا أريد المزيد من الأصدقاء، كي لا تزهق نفسي حسرات عليهم حين الفراق، كنت كباقي البشر أخاف من اللقاء بسبب تذكري لذلك الفراق، أجل اكتفيت بنفسي لفترة من الزمن، لست مثاليا، لكن تعبت من الوحدة، وأرهقني كلام البعض، وأخبار البعض التي كانت تصلني بدون طلب مني، وأنا جالس في مكان أسفل الهاشتاغ، وإذ بالعطر مجددا، ماذا يريد هذه المرة، فقد تعبت من التفكير، ولم اتعب لغاية النسيان، لأنني لم أنساها للحظة واحدة. العطر يقترب وقلبي تتسارع دقاته ونظري إلى الأرض بينما أحاول تدفأت أصابع يداي معا بأنفاسي، ولفترة من الزمن وصل قلبي إلى الجنون نبضاً، حاولت رفع رأسي، لكنني فشلت، فبدأت أسعل سعالا خفيفا، لعل ذلك يخفف تسارع نبض قلبي، وإذ بي ألمح بطرف عيني شعرا غريبا وقريبا، واقترب الشعر حتى كاد أن يرتطم بوجهي، الذي قتلة البرد، في هذه اللحظة تغير العطر من عطر إلى سحر، تغير العطر، وتغيرت الملامح، ونظرت بتركيز عال جدا، أجل هي، وكل شيء تغير فيها، لكن عينها عيناها، لم تتغير، وخوفها ومحاولاتها لإخفاء هذا الخوف موجود وملحوظ؛ فإن حركت يديها، فإنها تقوم بشيء لإخفاء أشياء. حاولت الوقوف، ومددت يدي نحوها، سحبت يدي، ولما تعيدها إلى الآن.

ماذا الآن. هل سنتناول وجبة الإفطار ونخرج أم نتناول الإفطار ونفترق.

لا سوف نأكل ونحن نتحدث يا عيسى

لا أريد الإفطار هل استطيع الحديث من الآن.

أريد أن اخبرها أنني أحبها، أو أنني استلطفها، أو أنني أحبها بجنون، أو مجنون بحبها، تعالي هل لي بالحديث معك، هل لي بالقليل من العتب، هل يجوز طعن الحبيب، أم الحبيب المطعون هو المطلوب. تفوهت بكلام والتفتت إلي نظرت في عينيها، أخبرتني عيناها أنني يستحيل أن أكون معها كحبيب أو كصديق، العيون البشر لم تتغير العيون، دائماً تتصف بصدقها، قالت العيون إنها هنا لغاية، ولم تنتهي الغاية حتى اليوم، أو أن غايتها قتلي ببطء شديد، ولن تجرم لأنها استخدمت أدواتي لقتلي، وبهذا تكون قد ساهمت هي بالقتل، لكنها لم تقتل بأناملها الجميلة، سألت نفسي هل هذه الفتاة ستساهم في وسقوطك، وعيناها أكدت ذلك. أنا اعشق السقوط إن كان على يد من أحب، واسميه النجاح في السقوط ؛ فقد كان بالنسبة لي، أنها اختارت لي مكانا، تجده مناسب لي أكثر من المكان هذا، أعدت قراءة عينيها، التي تقول إنها غارقة بالعديد من المشاكل، و لا اعلم هل هي مادية أم اجتماعية، شاهدت في عينيها شخصا وكذبت نفسي، أجل هو الحبيب الذي يستغلها ويقوم بابتزازها، لكن هي تحبه، وهو لا، لا وألف لا. تجاهلت هذا الأمر مرغما، وادعيت أنني لم أشاهده، ومع طلب الإفطار، شعرت بحاجتها المادية بسبب طريقة طلب

الإفطار، ركزت هنا، وقلت سوف أكون معها من اجل هذا واختيار المكان الذي سوف نقرر الإفطار فيه، سوف يكمل الصورة، وسوف تتسنى لي الفرصة للإمعان بهاتين العينين ، جلست مقابلا لها على أن يكون مكاني منخفض عنها ، ؛فاستطيع التركيز في عيونها دون إحراجها، ومع أول نظرة منها للسقف، تأكدت أن الفتاة تعمل ليلا أو أن النوم لا يكفي جسدها، عيناها كانتا تحتضن دمعة، وكأنها أجبرت على الجلوس معي.

انتظرت كلمتها، وعند محاولتها الحديث كان قلبي من يسمع، وعقلي يحلل بكلامها، قلبي سعيد اليوم لكن للمرة الأولى، أتجاهل عقلي، واقف إلى جانب قلبي، شعرت أن قلبي الآن جالس على شاطئ البحر، ومعه زجاجة من العصير ويرتدي نظارات شمسية، وعقلي كان يحاول الخروج من رأسي ؛ليستطيع ضربي، وإعادتي إلى الواقع، أجل أنا لست مدرك لكني سعيد، تحدثت أخيرا وقالت: أنا بحاجة لكمبيوتر، طمأنتها بقولي إن الكمبيوتر من الآن هو عندك، وعقلي يقول: ماذا هل ستشتري لها؟ لماذا لا يحضره لها حبيبها؟ قاطعت عقلي بصوت لا اعلم إن كانت قد سمعته أم لا، أنا سوف أكون كل شيء لها من الآن.

استأذنت بالرحيل لوصول السيارة، التي ستقلني إلى المنزل، جلست مع السائق، وضعت أغطية العيون، وخلدت إلى النوم، راودني حلم إلى الآن، لا يغيب عن بالي، الكابوس القديم نفسه عاد إليّ: (تحدث مشكلة في مكان ما، أتدخل بغاية المساعدة لإنهاء العراك، تخرج من احد مسدسات

المتشاجرين طلقة، تطعنني، ويخرج شيئا من جسدي، قائلا أخبرتك وأنت لم ترد أنت يا عيسى تستحق هذا)، التفسير غريب لمن لا يعرف القصة، وواقعي لمن يعرف القصة، لم انم من الآن فصاعداً كي لا أشاهد حلما تفسيره الفراق والانكسار، لماذا أنام وأنا لست متعبا، وبعد الوصول إلى المنزل، تناولت وجبة الغداء، وقررت الذهاب باتجاه محل الأجهزة اللوحية، لأشتري لها كمبيوتر، اشتريت لها واحدا وتركته؛ لكي يتم تنصيب البرامج التي نحتاجها، لكنني تذكرت أنني امتلك احد الأجهزة، الذي قد استعاره أحد أصدقائي؛ فطلبت منه إحضاره، وإعطائه لها فوافق، وشكرني على الإعارة، اتصلت، بها لكي اخبرها أن الأمر قد تم، ومع المكالمة، التمست شيئا من المكر، وقليلا من السعادة على عكس من استرجعت منه الجهاز، قلبي يتدخل ويقول:أنت وعقلك دائما إحساسكم لا يصيب، فطلبت من عقلي التوقف عن التدخل بحياتي، وقال لن أتدخل، لكن أنت لن تشعر بسعادة أن تركتها، ولن تكون سعيدا معها، لذا أنت اختار، فكرت بكلام قلبي الذي يقول:إنّ مرض السرطان عندما يصيب احدهم، فأن المصاب لا يشفى إلا بالاستئصال وسوف يموت إن بقي الورم معه، هل هذا هو الحب الذي طمحت من اجله؟ هل هذا ما قاتلت من اجله؟

تجاهلت تلك الأصوات، وجميع مصادرها وقررت تغير تلك الفتاة، لم يكن فيها شيء يعيبها، لكن كل ما أريده هو أن تكون لي، وقررت أخبار عاهد بكل ما حصل.

كسب الرهان

في اليوم التالي جلست، انتظر صديقي العزيز، ومعي كأسا من الليمون، الذي اعتمدت عليه بأن يكون معي في الصباح، جلست في مكان غير متوقع لكي لا يشاهدني أحد.

وبدأت بالانتظار، الذي لا أفضله، كان على عاهد الحضور باكراً، كما اعتدت أن يتصل بي صباحا، ليخبرني انه قد وصل الجامعة، وهو في انتظاري فعلا لم انتظر كثيرا، إلا وأنا أشاهد خطواتها الساحرة، ومشيتها المتعبة خلف العلوم والتكنولوجية، لم أعيرها انتباهي، لكن قلبي الشجاع كان يخبرني بحركاتها، وأنا لا انظر لها لفترة من الزمن، يد عاهد وضعت على كتفي ملقياً التحية، صباح الخير. ورد الصباح، كان سرد القصة كاملة، وانتظرت عاهدا أن يبتسم لي كوني استطعت أن أتغلب عليه في الرهان، والحزن معه في عيونه المغطاة بالنظارة، لما قد يحصل نتيجة الفراق. كان أصغر مني سناً، لكن لا يتحدث إلا بواقعية، قررت الاستماع لحديث عاهد، وقلبي من الداخل يقول: اتفقنا أن نستمع فقط لا ننفذ.

قال لي: أنت الآن لست قادر على الحب، وليست من يستحقك، أنت أكثر شخص، تعرفت عليه يمتلك من الطموح جبالا ومن الثقة أطنانا، ومن الإنسانية حجم السماء، أنت بحاجة إلى الأفضل، أنت بحاجة إلى من يليق بعائلتك الكريمة ولا تنسى انك تعامل في وطنك وبين أقربائك على

انك مهندس، وأنت أن التفت لكل من يقول لك أحبك، لن تستمر كثيراً في هذه الحياة صمودا، رغم أن الذي مر عليك في سورية، ليس بقليل وما عشته هنا ليس بالكثير، كي تعرف الناس، أنا أكثر شخص يعرفك جيداً في هذا المكان، واعرف انك لست بحاجة لتتعلم ولست بحاجة لكل ما تفعل، لكن أنا لا أريد منك الاستمرار، ولا أرى الاستمرار. التمست شيئا من الصدق، بل أنني شعرت للمرة الأولى، أن في هذه الجامعة أناس يخافون علي، لكن كنت قد اتفقت يا عاهد مع قلبي سابقاً أن أسمعك فقط. أنت لا يستطيع احد أن يغير ما في رأسك إلا من خلقك، أطلق الدعاء قائلاً: إن كان فيها خير لكما فليوفقك الله. فطلبت منه إكمال الدعاء رفض وقال: أريد أن اجلس معكما، أنت وهي وأراقبكما بصمت، وبعدها أعدك بإكمال الدعاء، وافقت، واتصلت وأخبرتها عن نيتي بالخروج من الجامعة لتناول شيء ساخن ادفأ به قلبي، وقمت بدعوتها على أن تكون وحدها، فوافقت، نظرت لعاهد ما رأيك يا صديقي؟ هنئني بكسب الرهان، قال: أنت لا أخشى عليها منك بحكم أنك شابا، لكن أخاف عليك منها؛ فأنت تمتلك قلب أبيضا وأنت شاب تخترع الأعذار للأعداء، الغير موجودين في حياتك فالكل أصدقاء، فكيف من تحب، لكن أريد منك أن تعلمني بكل جديد معها اتفقنا.

واجد لاتية

خرجنا من الجامعة متجهين إلى الكافي شوب المتواجدة إمام الجامعة، لحظة الوصول، طلبت قهوتي الصباحية مع قطعة من الحلويات، و صعدنا، وأخبرت عاهدا أن لا يتكلم، هاتفي يرن وأنا لا أجده وهو بيدي، أنا كنت قد خصصت لها نغمة رنين خاصة بها، عاهد يخبرني أن الهاتف بيدي، لم اشكره، أجبت وأخبرتها أنني انتظرها، وعند وصولها جلسنا نتكلم عن الشركات العالمية، التي تعرفها، وأنا لا أحب هذا الكلام، واعتبره إعلانا وأي إعلان أقوم به، يجب أن يكون مدفوع ، طلبت لها مشروبها المفضل الفراولة، أنا لست مرتبكا لماذا؟ أين ذهب الارتباك؟ جلسناو حاولت النظر إلى عينيها لم أجد العينين، اللتان وصفتهما سابقاً، وجدت عيونا عسلية وشعرا، يغطي أكتافها وصوتٍ قتله التعب والكثير من التصنع، نظرت لها بكاملها وكأني أول مرة أشاهد تلك الفتاة، أول مرة في حياتي، ماذا حصل؟ طلبت منهم انتظاري وذهبت لأجلب المياه، كوني أعاني من حصىً في الكلية، فيجب أن اشرب المياه بكميات كبيرة، هناك أمر قد تغير، اعتقد أن الأمور كلها تغيرت، لا اعرف كيف سينتهي بنا المطاف، وانهينا جلستنا، لكني طلبت منها أن تحضر جهازي معها غدا من اجل شيء ما طلبه منا دكتور إحدى المواد، ثم خرجنا واتجهت مع عاهد إلى الحافلة،

على الطريق نظرت لعاهد، ما بك لماذا لا توفي دينك؟ وكان رده أي دين تتحدث عنه، قلت له: إكمال الدعاء، رد علي لا أريد جرحك، تحدث هل أنت مجنون أنا لا اجرح بسبب تلك الفتاة، أنا الآن لا أريدها. رد علي بسرعة تفوق سرعة الضوء، عندما تحبك لا تحبها، والعكس صحيح يا صديقي، صحيح أنك كسبت الرهان بأن تعود لك بدون أن تطلب منها، لكن هذا الفتاة بداخلها سر، أن استطعت معرفته سوف تحبك أو تفوز بحبها كونك تعتبر الحب انتصار يا صديقي. أردت ضربه، لكني أسرعت بالمشي وتركته خلفي، ولم أودع اعز أصدقائي، عاهد. انتهى أجمل ما حلمت به بكلمة هذا الشخص الصادق، هل أنا لم أكن صادقا مع نفسي؟ لا، لا، لا.

العودة أم الى أفتة

اتصلت فيها بعد أن وصلت إلى الحافلة المتجهة إلى الجامعة كي القي التحية الصباحية، وأذكرها بوجوب إحضار جهازي معها، فقالت: لن أتأخر يا عيسى، أنا بطريقي إلى الجامعة.

انتهى الحديث وقررت الانفصال عنها والرحيل إلى الأبد عن حياتها؛ فشخص لا يكترث بي، لا أريده من الآن فصاعداً، لن أعود لها مهما حاولت هي. وبينما اسمع أغنيتي المفضلة أحساس غالي، وهاتفي تصله رسائل للمرة الأولى ولا اشعر بالانزعاج، من تلك الإشعارات، لأنني بالعادة أكون منزعجا، من إي شيء ممكن أن يقاطعني، وأنا اسمع أغنيتي المفضلة، نظرت إلى شاشة هاتفي، وكأني أشاهد اسمها عبر الإشعارات، أجل هي، وتخبرني أنها تعرضت لنوبة تسارع، طلبت منها محاولة السعال ورفع يدها اليسار، والاستمرار على هذا الأمر، أخبرتني أنها تأخذ جرعات من الكورتزون، شعرت بالخوف عليها، أجل أنا قلق عليها لا اعلم سبب القلق على شخص لا يعنيني، اتصلت بصديقتي المقربة وشريكتي في مشروعنا، وطلبت منها انتظاري عند الحافلات، لأنني لن استطيع مسك يدها، وان مسكت يدها فلن اترك تلك اليد. أخبرتني، أنها هناك، وسوف تكون بجانبي وبانتظار حافلتها وكنت أخاف السرعة ولكن وقفت، وطلبت من سائق الحافلة الإسراع بحجة أن الدكتور ينتظرني في القاعة، وأنا

متأخر، ولم يرفض السائق الإسراع، لكن لم أجد مشاعر توحي بتصديقي، مسكت هاتفي بيدي محاولاً الاطمئنان عنها في كل ثانية تنقضي، كانت، ترد، لكن متأخرة، أردت الاتصال مجددا فلم تجب، وصلت، وبدأت انظر مرةً يمينا وأخرى في كل الاتجاهات لمحاولتي العثور عليها، هناك سيارة إسعاف تقف إلى جانب الحافلة، انتظرت الحافلة حتى تقف، كي أصل لها توقفت الحافلة، و لم اسمع ما تفوه به ذلك السائق، أسرعت لها ، وإذ هناك إحدى المسعفات، ومعها الطبيب، وأخبرتهم أنني صديقها المقرب، طلبوا مني الإسراع إلى المركز الطبي، ووصلت قبل أن تصل السيارة إلى المركز، لا اذكر هل كنت اركض، أم أنني ابتدعت خطوات لا يعرفها معشر البشر؟ انتظرت لمدة قصيرة، وصلت السيارة نظرت لعينيها المتعبة ، شعرت أن الحياة سوف تقف لحظتها، هرولت مسرعاً لجلب عربة، وضعت يدي على يديها، وطلبت منها مساعدتي في إنهاضها، وإجلاسها على العربة. ووصلنا إلى غرفة الطوارئ وابتعدت عنها، كي يتسنى للطبيبة الكشف عليها، وقفت خارج الغرفة في مكان، لا أريد وصفه، أقبلت إلي صديقتي، ومعها صديقها المقرب، ألقت التحية، وقالت أين هي؟ أخبرتها في الداخل، اذهبي إليها، واخبريها، بأني نويت نقلها إلى المستشفى، فذهبت، ولا اعرف ما الذي جرى، لكن بعد مرور بعض الوقت، وكأنه أربع سنوات، خرجت إلي رحاب قائلتا يمكنك الدخول.

دخلت والعطر قد ملئ المكان سحرا وفرحا، نظرت لها، وكأني أشاهد الفتاة الجميلة، التي سقطت يوما ما في حبها. نظرت بعينين مليئة بالدمع،

أنا لا اسمع من جميع الأحاديث المبرمة هناك سوى دقات قلبها المتعب، وأنصت إلى دقات قلبها وكأن على رأسي الطير، ثم نظرت لها وكأن قلبي يقول: ما بك؟ ماذا أصابك؟ هل أنت بخير، شعرت بكمية ليست بالقليلة من الحب لي، أخبرتها أنني معها، وإن احتاج الأمر نقلتها إلى اكبر مستشفى في هذا البلد، نظرت إلى الطبيبة، قالت: يجب أن تأكل أو تشرب شيئا مالحا فقط، لم أتردد بالذهاب إلى الكافتيريا، التي تبعد عنا مسافة قد تصل إلى ألف متر، أسرعت بالركض، وكأن شبح يركض خلفي، ولا اذكر ما أحضرت، لكن اذكر أنني لم اخذ الباقي من البائع. وصلت إلى الفتاة، واقتربت منها وجلست إلى جانبها على السرير، ومسكت يدها، وطلبت منها شرب القليل من اللبن، وأكل فطيرةً وبدأت بالأكل، لم تأكل الفطيرة، أكلت قلبي عن غير قصد، بدأت ارتب شعرها، ورفعه مع رفع معنوياتها، والبعض المحاولات الفاشلة بإضاعة ما نحن فيه، فيجب أن نفكر بأمر أخر غير المرض، سألتها عن أصدقائها المقربين، أين هم؟ قالت لا يوجد في هذا العالم صديق يا عيسى؛ إنما في عالمنا الذي نعيش فيه، لا يوجد إلا أناس يترقبون منا شيئا، فإن حصلوا عليه، ذهبوا مع الشيء وتركوا صاحبه، بصوت واضح، وهذه المرة يخرج الكلام من عقلي الراجح أنت ماذا تريد؟ هل لك شيئا عندها؟هل ستتركها في يوم ما؟ هل أنت مثل الذين تتحدث عنهم؟ ثم طلبت أن نغادر المركز إن كانت ليست بحاجة للمراقبة، اخبروني أنها كانت تعاني من تسارع خطير، ويجب انجاز عملية مستعجلة لها، لم تسمع هذا الكلام، خرجنا أنا وهي، ولا اعلم ما هي

الحالة التي هي فيها أهي بكاء، أم فرح، أم تأنيب، أم ماذا؟ووصلنا إلى الكافيتريا سوياً وجلسنا، وطلبت ساعتي من اجل الاطمئنان على نبضات قلبها ، جلست معها بجسد دون قلب، وقد هرب عقلي إلى كلامها، أجل فأنا معها، لكن دون حواس، أنا معها دون سمع، أجيدُ النظر فقط، أنا معها ومن اجل أن يطمئن قلبي عليها ، كنت أحاول جاهدا، جلب عقلي لها، لم انجح، لم استطع. عمّ الصمت للحظات، ثم خرج منها كلام احضر قلبي وعقلي ونبه جميع الحواس، لماذا أنت معي؟ إن سألت قلبي، ستكون الإجابة، لأنني أحبها، وإن سألت عقلي، فسوف يقول لها كلام لا أريد أن تسمعه في هذه الظروف. قاطعتُ الخلاف بين قلبي وعقلي، واتفقت على أن لا اجرحها ولا اظلم نفسي. أنا معك لأنني صديقك... ! منشغلة بإضافة السكر على القهوة، قالت: كلهم أصدقاء، لكنهم تركوني في أسوء ظروفي، لماذا بقيت أنت؟ كان الجدير بك الهروب مثل الباقي.....

ثم أكملت التجاهل، وسحبت الكأس بأناملها الجميلة، لكي ترتشف أول رشفة من القهوة، ويدها الأخرى تداعب شعرها، بدت لي وكأنها بحالة جيدة جداً، ولم تتعرض لازمة قلبية قبل قليل.... ! نظرت لها بعينين تحاول جذب عيناها باتجاهي، هل أنت بخير؟ ثم قلت لها: أنا لست كالباقي، أنا اختلف قليلاً عنهم، أنا عيسى يا فتاة.... !

أجابت دون تفكير: لأنك عيسى أريد منك أن تأخذ حقك مني، ولا أريدك أن تتظاهر بالعطف، أنا لست بحاجة لمن يعطف علي.

.... هل ترين الأمر على هذا النحو؟

كل الأمور تختلف بما يجري لكن تتشابه بالناتج، كلهم يعملون أعمال مختلفة، لكنهم يعملون ليكون الناتج هو المال....

توقفت عن الحديث لكي لا يكون الرد قاسي... إن كان ما تتحدثين به صحيحا، لما تطوعتِ في تلك المنظمة، فأنا تطوعت وكان الغرض إنسانيا وليس المال...

توقف ماذا تريد مني أنا صغيرة

ارتبكت دقات قلبي طلبت منها الساعة، وأخبرتها أنني تأخرت ويجب أن اذهب، وخرجت مسرعاً، لا اعلم إلى أين سوف اتجه، لكن يجب أن أغادر هذا المكان. وعند وصولي إلى بوابة الجامعة، فكرت جيداً بكلامها الأحمق ماذا تريد مني؟ هل أصبحت جميع علاقات العالم مبنية على المقابل؟ أصحيح أننا تخلينا عن مبدأ الصديق في ساعة الضيق؟ هل أبي اليوم يطعمني من اجل إطعامه في كبره، أم انه يطعمني لان ذلك واجب عليه، ولأنه يحبني، لن تستطيع تغيرها يا صديقي.... !

صغيرة

سمعت صوت كنت لا استطيع سماعه، أو لا أتحمل سماعه انه صوت إنسانه رقيقه طيبة القلب والسمعة وجميلة الروح، أجل إنها بئر أسراري، اتجهت لها كي ألقي التحية، لم تدع لي الفرصة بالحديث كعادتها، كيف أصبحت صديقتك؟ هل هي بخير الآن؟ ولماذا لست معها؟ أليست صديقتك أم أنكم يا معشر الرجال تختارون مواعيد و أوقات لمن تحبون؟

هوني عليك لن أجيب على تلك الأسئلة جميعاً، إن صديقتي التي هي ليست صديقتي كما أنت صديقتي بخير، وأنا الآن لست معها، لأنني أريد الجلوس معك، وأنا لا احدد موعداً، أو مكانا للحب، أنا إن أحببت سيفضح أمري بسرعة، قد تفوق سرعة انتشار الإشاعات عند الإناث، لذلك هوني عليك، أريد أن أسألك سؤالا، بصوتها الذي أصبحت أحب سماعه، حسناً. هل أنت تنتظرين مني مقابل لأنك وقفتِ معي صباحا ومع صديقي المريضة؟

بطبع لا... هل أنت مجنون؟

حسناً.. هل ذهبت هناك من اجلي أم من اجلها؟

ذهبت من أجلك كونك صديقي، وبقيت هناك لأنني إنسانة.

صحيح كلامك.

كلامها لا غبار عليه، هذه الفتاة هنيئا لمن يحبها سوف تتعذب هذه الفتاة في حياة الشقاء، وستكون من السعداء في الخلود. قاطعتني.

هل أنت هنا أم ذهبت بك الأفكار إلى ما خلف البحار؟ تعال معي أريد الإفطار.

أنا معك جيداً لست جائع هل لك أن تحضري لي.....

مقاطعتا، الليمون ولا غير الليمون هو حبيبك الوفي يا صديقي وان سمعت نصيحتي لك استمر مع الليمون فهو لن يخونك....

ابتسمت وقلت لها شيء جميل أن أحب الليمون، جلست. وقلت اخبريني ماذا يدور برأسك الخشبي هذا....؟

ابتسمت قائلة أنت صديقي الذي لا استطيع أن اتركه يسقط، وأنا أقف مكتوفة الأيدي، لكن لا استطيع مشاهدته مجروحا من أناس يحبهم.

وضعت محفظتي على الطاولة بعد أن أحضرت الليمون لي، وجلست. الآن اخبريني ماذا يدور في رأسك؟لاشيء سوى خوف على صديقي الذي

أحبه، أنت من أكثر الأشخاص، الذين يحبون أن يشاهدوا الجميع سعيدين، كن ليس الجميع مثلك يا عزيزي، إنهم يبحثون فقط عن سعاتهم، وان قدمت لهم شيئا، راودهم التفكر بأنك تنتظر المقابل. أنا في الصباح شاهدت مشاعرك وخوفك على صديقتك، وكلنا بحاجة لشخص مثلك، وأنا بدأت أغار منها واحسدها، إنها تمكنت من السيطرة عليك. بدوت وكأنك أخٌ أو عشيق أو أبٌ لها، وإن ركزت على عشيق، فأنا أظلمك، لأن العشيق قد يخون، ولو كان هناك عشيق لها لما إلتهف عليها هكذا، أنت تحبها، أجل تحبها، لكن هل أنت مدرك لما تفعل، أنت صديقي الواعي، الحب الذي تكنه اتجاهها، لن تجده هي ولا سائر فتيات هذه الجامعة. يجب عليك أن تكون حذر منها وعليها لا أريد الشرح أنت مدرك لما تفعل.

نعم يا رحاب أنا مدرك، لكن هي صغيرة على ما تتفوهين به، أنا لا أحبها كما يحب العاشق عشيقته، أنا أحب وجودها في يومي، إنني اشعر بالسعادة بينما هي معي، ولا يهم أن كانت معي وعقلها يدبر لي المكائد...

ستسقط وحدك وحيداً، ولن تسقطك إلا بعد رحيل جميع أصدقائك، يا عزيزي.

فكرت لثانيتين ونصفهما، خرج كلام أنا غير مسؤول عنه واعتقد أن الفاعل قلبي:إن كانت تريد الموت فأنا مشتاق له. أنا لن اتركها، وكلنا سنموت يوما ما، فلنمت بما نحب ونرضى، وإلا عشنا كبعض الأحجار، نضرب بمن نحب ونحن بيد من لا نحب.

ردت.... يا صديقي أنت هنا كالشجرة، أصدقائك يأكلون ثمرك، ويجلسون تحت ظلك، وعند الانتهاء منك سيتدفئون على عظامك، ولك حرية الاختيار يا صديقي.

لم اجب، ولن أجيب نظرت بعينيها وجدت كل الحب والخوف، إنها عاهد وليست رحاب، إنها تحبني بقلب عاهد، وتخاف علي كخوف احمد، إنها صادقة لماذا لا ترد يا عيسى عليها إن وجدت رد...؟ أخبرتها أنني أريد الخروج من الجامعة، والوجهة غير معروفة، لكن لا أريد البقاء هنا، ومع قرار الخروج زارني الفرح، ونفس العطر، إنها قريبة لكن أين هي نعم هي هناك مع صديقها المقرب. لن اذهب إليهم، إلى اللقاء يا صديقتي...

بصوتها الذي قصدت به إسماعها قالت: سوف أراك غدا، يا عيسى، ابتسمت وخرجت من الجامعة.

اقترب الهروب

يومٌ جديد، هاتفي بيدي وقلبي معها وعقلي لا اعلم بماذا هو مشغول، اهتز الهاتف مرة، ولم اكترث لأني اعتدت على عدم الرد على السوشل ميديا في جامعتي، عاد بالاهتزاز نظرت إلى الشاشة، أجل إنها صديقتي لمى من مكة الحبيبة. أخبرتني أنها مشتاقة للحديث معي بعد أن سألتني عن صحتي، وعن حال وطني، وعن أخر أخبار دراستي، ولماذا أنا لا أتواصل معها؟ أخبرتها أنني وقعت بالمحظور، وان وطني طافٍ من ماء الشتاء، ولا توجد فيه كهرباء، وقد أصبح طائفي بامتياز.

قالت الوطن لله، وأنت لنا وما هو المحظور الذي سقطت فيه يا صديقي الساقط بمشاكل هذا العصر؟ الحب وهل هناك شيء يسقط الرجال غيره، ردت ولم اسمع صوتها إلى اليوم ردت بعبارات لليوم محفوظة بذاكرتي، لماذا تخليت عن حبك لعيضة وعشقك للشعر، وهواك في سوريا أيها الخائن؟

أنا لن أخون مكة، ولن اعشق سوى كاظم، ولم أهوى أحداً غير أخي يا أخي..... هل لك بالإجابة؟

أنا وقعت بالحب يا لمى. لكن إلى اليوم أعيش بإحساس غالي اتجاه وطني، كما ترين، لكن أنا لست لأحد إنا لله وإنا إليه راجعون، وسورية، تبقى لأبنائها أنا أريد أن أعيش هل هذا حرام.

لا والله لك الحق، لكن حدثني عنها، أريد أن اعرف كل شيء عنها، وكيف نجحت بسرقتك من الجميع، أريد أن اعرف، كيف أوقعت بك تلك اللعينة؟

أنت تعلمين، أنني من الناس الذين يصعب هزيمتهم، وأنني امتلك قلباً، إن ضربته بالجحر لكسر الحجر من قسوته، وأنني امتلك عقلا، استطيع احتلال العالم به، ولا يصعب علي قلب امرأة لكننا نحن معشر البشر لدينا مشاعر يمكنها أن تبطش بنا، ونحن في أقوى حالة.

لا أريد التبرير كثيراً، أنا أحبها، ولا اعلم كيف، وأين ولماذا، الذي اعرفه أنني، أكون سعيداً معها، ولا اكترث لما قد يحصل، أو قد يكلف بسبب ذلك الحب. إنها تمتلك عينين تستطيع فيهما إعادة ما طلبت به اليمامة ابنه كليب يوم اجتمعت مع أشراف العرب، ولديها أشياء لا اعرفها، ونبرتها بالحديث قد تفوق نبرة الشعراء، وبأسلوبها تأخذ ما بين ضلوعك.

كلامك جميل، لم يتغير فيك شيء، أنت دائما تتحدث عن الجميع بقلب أبيض، لكن اعتقد انك قد أحببتها هنيئاً لها بك.

على ماذا؟

هل هي تعرف أنه لديك العديد من الأصدقاء؟

هي تعلم أشياءً كثيرةً عني، لكن ليست على درايةً بك يا صديقتي.

حسنا، هل أنت جاد معها أم انك تنتظر الوقت المناسب للهروب؟

أنا جاد معها لكن انتظر منها هي الهروب.....

أنت مجنون.... !

أين الجديد بكلامك، أليس العاشق مجنونا، أحيانا؟

إنها لمى لمت علي بالكثير من الحديث عني، ولم اسألها هل بقيت بمفردها أم ارتبطت، هل تخرجت أم أجّلت؟

... رحلت وكنت محور حديثها، ولا استغرب منها الرحيل لشدة وفائها وندرت غدرها. أجل هذه صديقتي لكل أوقاتي وليست للضيق فقط.

الجلسة الاولى

يومٌ لطيفٌ ومشمسٌ، ليس فيه من أجواء العشق شيء ، كنت أنا ورحاب نتحدث عن الأكل، حديثا المفضل الذي يخلو من النميمة عن الأكل، ومن لم يقم بدعوتنا فليسامحنا، لأننا لم نقصر بالحديث عنه، نظرت إلي رحاب قائلاً لها: إنها هناك، واستأذنتها وذهبت خلفها، ألقيت التحية، وسألتها عن حالها، وعن أخر أخبار قلبها، وهل هو بخير؟ وإن كانت قد ذهبت إلى طبيبها، الذي أخبرتني عنه، كان ردها اقل من السؤال دائما، وأخبرتني، أنها دوما تتعرض لتلك النوبة، وسألتني عن رحاب، وطلبت مني الذهاب إليها من اجل شكرها، لما قامت به من اجلها، أخبرتها أننا لا نحتاج الشكر لهذا الأمر، إنه واجبنا كوننا أصدقاء، والأصدقاء عندهم أعراف خاصة، ولا يمتلكون برتوكولا بينهم، وقمت بدعوتها للحضور معي إلى المحاضرة، فوافقت على الفور، واقتربت مني ؛حيث أنني أحسست بأنفاسها، قد دخلت إلى صدري عوضاً عن الأوكسجين، مددت يدي نحوها، وأمسكت يدي، وغادرنا المكان متجهين إلى كليتنا، ونحن بالطريق، أأفلت يدها أم هي سقطت لا اعلم؟ الشيء الوحيد الذي اعلمه، أنني كنت قد غادرت هذا العالم برفقتها، جلسنا والمحاضرة تنظر لي ولها، وكأنها تطلب مننا الابتعاد عن بعضنا، ونحن لم نقم بأي عمل قد يعيب جلستنا، لكنّ الحب قد ظهر علينا، وقد تغلغل فيّ وفيها، انتهت المحاضرة

الأجمل في تاريخ دراستي، طلبت منها أن نذهب، ونجلس بعيدا عن الأصدقاء، وأنّه هناك أمر يجب أن تعرفه.....

ذهبنا وجلسنا أمام العيادات الطبية، وكان لدينا بعض البسكويت، والشراب الذي يمكن أن يساعدنا في الهروب من بعض الإجابات.

التهمت بالقوة، ولم استطيع أن اسأل إي سؤال، جلست، وقررت الاستماع لها ولكلامها عن عملها، وعن نيتها أن تصبغ شعرها، وهذا الأمر لا يعنيني إطلاقا، أريد الحديث عنها فقط، وليس عن أعمالها، استطعت أن أضع السؤال في فمي، لكن لم استطيع إخراجه حتى اليوم، وفجأة نظرت لعيونها، شعرت بأن الفتاة تائهة في مجتمع لا يرحم حتى الأموات، فكيف سوف يرحمون تلك الفتاة الجميلة، وإن رحمها الشباب، لن ترحمها البنات من الغيرة. حدثتني بكل المشاكل التي وقعت فيها، أجل لقد سقطت بالكثير من المكائد، ومن اقرب الناس لها، لم يكن لها أصدقاء كما توقعت، لديها ناس فقط، لكن كلهم موجودون لغايات، وليسوا أصدقاء، كانوا يصادقونها الصباح ويتحدثون عنها في المساء، وكانت هوايتهم المفضلة هي تركها، وهي بأمس الحاجة، لهم كانوا يتكلمون معها عن الأشياء الباهظة الثمن، وهم لا يمتلكون أي شيء منها، ونحن البشر نحب من يمتلك تلك الأشياء، ونحاول التقرب منهم، لكن هم أنفسهم، كانوا يتحدثون بما يفتقدون، لكي يشعروا بالراحة، لكن لا احد يعلم إن كان بيتهم ملك أم إيجار؟ أو أنهم يتناولون وجبة العشاء أم هي أصلا غير

موجودة في منازلهم، ومعظم أصدقائها الذين يدعون الثراء، لم يقوموا بجلب علبة ماء لها، لا بل كانت هي من تقوم بدعوتهم لتناول الإفطار على نفقتها الخاصة، عندما أخبرتني هذا الكلام، الذي اعتبرته خطير، حاولت أن أركز في عينيها، فلم استطع التركيز، لأنها كانت تتلفت، هل هي تجيد الكذب أم هي تلتفت خوفاً من أن يرانا أحد أصدقائها؟ طلبت منها شرب الماء الذي أحضرناه معنا، فتحت العلبة ونظرت لها عند وضعها لعلبة الماء على شفتيها، نظرت إلى تلك العينين، وإذ نفس الدمعة تستقر داخل عينيها، إنها صادقة، فنحن نتألم إن تحدثنا عن أعمال قمنا فيها، ونحن الآن نشعر بالندم لما قمنا فيه من عمل، شعرت بالندم، لماذا لم أكن معها منذ البداية؟ لماذا لم أعوضها عن كل عمليات الغدر التي كانت تصيبها؟ هل أنا مسؤول عن ما حصل لها. طلبت منها عدم التفكير بالمال وبمشاكل المال، بالأصدقاء وبمشاكل الأصدقاء، وأخبرتها أنني سوف أكون معها في كل الأوقات، طلبت منها الابتعاد عن بعض الأشخاص، الذين سببوا لها المشاكل، لكن لم اطلب منها التخلي عن أصدقائها، وليس الجميع بنفس الطبع، أنا سوف أكون معك، ولن أتركك إلا إن رغبتي بالرحيل عنك لن اجلب لك المتاعب. وأنا لا أريد المقابل، أنا مهتم فقط بابتسامتك، هل لك بالقليل من الضحك أريد أن أشاهد تلك الابتسامة، التي اشتاقت لها عصافير جامعتنا البائسة، أريد أن تعودي وردةً، كما شاهدتك، أول مرة، لا أريد منك شيء سوى ابتسامتك مع القليل من الصدق هل هذا كثير؟

أرأيت أنت تريد مقابل.... !

نعم صحيح، لكن أن كان هناك ضرر بابتسامتك لك، فأنا أتراجع عن طلبي منك يا صديقتي الغالية. لم استغرب ردها اعتدت على هذا التجريح، وإن كانت بعض الجروح تبرئ بقليل من الأدوية، فأنا الآن مصاب بطعنة، لا ينجو منها من أصيب بها؛فقدره محتوم كقدرك تماماً، الموت لكن مع قليلٍ من الألم. لن اتركها وحيدةً، تباً لها ولحبها، تباً لقلبها المجروح الجارح. سأبقى صديقك، أو حبيبك أو أبيك الذي يفرح بنجاحك ويمرض لمرضك، ومهما يكن لن ادعك تسقطين في تعاسة الواقع المرير، ولن ارحل كالراحلين، يا من أحببتها بكامل الحواس التي امتلكها.

اعترافات أم كذب أبيض

الساعة الحادية عشر، وكل تفكري، كيف سوف تنزل من تلك الحافلة وتأتي؟ وكيف سوف أرد على تحيتها الصباحية؟ وهل وضعت الكحل في عينيها، أم أن الكحل تزين بعينها مع قليل من الدمع المسجون في تلك العينين؟ بدأت ألتمس ذلك العطر

اقتربت جميلتي، إن مشيها هين، لم استطع وصف حركتها الهينة، وقفت احتراماً لجملها أم عشقاً لعينها لا اعلم، مددت يدي والقصد عدم الإرجاع، لا أريد منها إعادة يدي، إذا كان قلبي معها؛ فأنا لست بحاجة ليدي جلست، وطلبت النسكافيه الحار، جلست في الكرسي المقابل لي، وأنا بكامل قوتي أخبرتها، أنني أريد منها بعض الإجابات عن القليل من الأسئلة التي تراود تفكيري، أبدت الموافقة وبحركة من يدها باتجاه شعرها، ازدادت نبضات قلبي، أحسست ببعض التراجع لكن حسمت أمري استعدي لكي تجيبي....

هل أنت سعيدة كونك تجلسين معي؟

بالطبع أنت شاب طيب القلب، وتمتلك طموح عالي وهناك الكثير الذين يتمنون أن يكونوا مكاني.

هل تعيشين علاقة حب مع أحدهم في الفترة هذه؟

لا اعلم إن كنت استطيع أم لا، لكن أنا لا استطيع الاهتمام، بالأصدقاء أو بحبيب، أنا لا أجيد الاهتمام.

هل هناك مشاكل في حياتك الآن أم انك تعيشين الاستقرار؟

لا اعلم إن كنت صادقة ببعض الكلام، لكن أنا لم تفلت مني مشكلة إلا وكنت قد وقعت فيها...

حدثيني عن بعضها، وأحسست كأني مديرا يحقق مع فتاةً، طلبت منه وظيفة، فسكت وتركتها تتحدث....

اممم يا عيسى أنا أعاني من عدم الثقة بالناس؛ لما تعرضت له من مشاكل، أنا صاحبت الوفيّ ومع ذلك خاني، أنا صادقت الطائر الحزين، و عندما اشتد ساعده حاول التهامي، أنا وثقت بحمامة هادئة، وتمتلك كلام لطيف تحب أنت وغيرك سماعه، وكنت لها منزلا، وأعطيتها شيئا تفاصيلي، التي زورتها، وأضافت القليل من المكسرات المحرمات عليها، أنا كنت لأحدهم أختاً وصديقة وحبيبة فحاول اعتداء علي، وعندما أحببت، أحببت كلبا لا يراني إلا عندما يرفضه الجميع، أنا لم اقترف الخطأ بحياتي، وأنت لك حرية التصديق، فهل يا عيسى إن كنت مكاني هل تثق؟ ولماذا تنظر لعينيّ بهذه الطريقة؟

اعتذر منك، أنا كنت اسمع كلامك، وارى نفس الكلام بعينيك. عزيزتي، أنا لا استطيع إعطائك شيئا، أنا لا امتلكه، لكن أخبرتك منذ مدة أن الثقة روح تدخل الجسد وتغذيه، ولسنا سواسية يا عزيزتي. لكنني أريد أن اعرف، لماذا تعملين، وأنت فيما مضى كنت تتحدثين عن نيتك في السفر إلى موزنبيق، وأنا اعرف من يرغب بالعيش هناك يجب أن يمتلك المال، فقالت: أنا لست من الطبقة الثرية، لكن لست بحاجه ولا نية لي بالسفر وما تحدثت عنه أمراً أخر. فأصررت على أن تبوح لي بالأمر. سكتت قليلاً وقالت:بالطبع أنا آسفة لأنني نسيت أن أوضح لك الأمر. لقد اتفقنا أن نتخلص منك فأخبرناك بهذا الكلام. لم تكن مكيدتي وحدي، لكني شاركت فيها.

وهل تعتقدين أنني صدقت؟

لا اعلم، لكن اعتقدت انك صدقت لأنك تغيبت عنا أو ابتعدت عنا.

لا يا عزيزتي، أنا التمس الصدق من عينيك، وعند هذا لم اشعر بصدق، وان كنت سمعت الكلام للمرة الأولى عبر الهاتف ففي اليوم التالي ذهبنا سويا إلى المكتبة، وعندها أحسستِ بتعب حاد قد أصابك وعلى ما أتذكر كانت نوبة ربو ، وازداد خوفي عليك من المرض، واطمأنت عن قصة السفر الغير صحيحة.

صحيح يومها كنت أعاني من أزمة ربو، وتسبب الدواء لي بنوبة تسارع لاحتوائه على الكورتزون

هل كنت تتألمين؟

هل هذا مهم الآن؟

أجل، أنا يومها نقلتك إلى المستشفى، وأحسست بشعورك

هل هناك أسئلة أخرى؟

هل استطيع أن أكون معك.

لا اعلم أن كنت استحقك.....

انتهى الحديث، ولم استطع أن اسأل السؤال المهم أو الأهم، هل أنت تحبينني....؟ اعتقدت أن الإجابة بدون إجابة.

قرار البقاء القاسي

أريد قليلا من السكر في فنجاني.... ! لم اعد أرغب بأي أمر مر، أنني أعيش بسعادة معها، ولا ينقصني شيء. وضعت القليل من ما احضر النادل من السكر ورشفت الرشفة الأولى من فنجاني، ارتطم جسم في يدي سكب القليل من القهوة على البلوزة الوردية، التي لبستها اعتذر الجسم، ولم اغضب، راودني تفكير أجدادي" سكب القهوة خير"، أنا لا أريد الاعتذار، أريد الخير، ومع الرشفة الثانية، بدأت اشعر فيها، إنها تقترب، هاتفي يرن، عرفت أنها هي من يتصل، وبدأت ابحث عنها في كل مكان، أين هي؟

رددت على الهاتف، وعيناي عند بوابه الجامعة، اطل القمر، وكان قد اكتمل، ووصل إلى مرحلة البدر، وهو في أزهى حلي، الصوت غير واضح، وأنا اعلم أن هاتفي، قد كسر، وسقط لا اعلم أين، لكن لا يمكن معرفة المتصل إلا عبر معرفة صوته، أخبرتها أنني كنت أرها قبل قليل، لكن الآن لم اعد أرى أي شيء. بصوت مليء بالغرابة.

هلت أنت بخير؟ ما بهما عيناك؟

كنت أرى قبل قليل، ولكن شاهدت شيء لا يمكن للبشر أن تراه وتبقى عيونها ترى.

أقلقتني عليك هل أنت بخير؟

أنا سعيد جداً

ما فائدة السعادة طالما أنت لا تراني؟

أنت عيوني الجديدة.

وصلت. وأغلقت الهاتف وابتسمت.

قتليني مجددا يا عزيزتي

أنت من الآن بصري الذي أرى به، وإنا بخير وسوف أبقى بخير طالما أنت بخير يا عزيزتي.

هل أنا أوقعت بك؟

أه.....

كم أنا كنت قاسية بحقك، وكم من الوقت احتاج لتتركني، وكم من العذاب سوف اجلب لك، لن اهتم بك، لكن اقدر تلك المشاعر، التي تطمح لها كل فتاة، لكن أنا لا استحقها منك أنت، أنا لن أتحمل فراقك يا صديقي، لكن لا أريد أن أخوض معركة لست نداً لها.

عم الهدوء للحظات قد تفوق الدقيقتين، لم اعتد على صمتها، أريد أن تتحدث، لان كلامها كان موسيقى قد لحنها فرانسيس لاي، أجل تحدثي يا أيتها الأقحوان، التي يزورها كل يوم طائر مهاجر من الموت المحتوم، ليستقر على ألمٍ والموت بعده موت لا محالة، تفوهت بكلام لم ولن اندم عليه، هل لي بفرصة، قد أتمكن من زرع حبي بداخلك، رفضت بالبداية، والسبب أنها لا تجيد الاهتمام بنفسها، فكيف لها الاهتمام بشخص يبعد عنها ثمانين كم، ويغيب عنها ثلاث أيام من كل أسبوع لا لن تستطيع. بدوت للمرة الأولى في حياتي إنني في وضع لا احسد عليه، هل مر ببالك أن تترجى أحدهم ليحبك، لا ذلك جنون، وأنا لم اعد التميز بين المعقول وغيره أنا لا أريد شيء سواها، أريدها هي ولست مهتم بما ادفع من كرامات، أو أقدم من تضحيات، أنا الآن مثلك تماما عند دخولك إلى المطعم سعيدا ومبتسما مع من تحبهم، لا تهتم بترتيب الفاتورة المهم استمرار السعادة، وأنا الآن كذلك.

أصررت، فرفضت رفضا قاطعاً، لم أجد له تبرير سوى الكذب، إنها تحب أحدهم، لكن لا تريد إخباري بأنها تحب، أو أن قلبها مأسورا كقلبي تماما. أخبرتها بما يدور في نفسي، قالت إن كان ما تتحدث به صحيحا، لكنت أنت أول من يعلم، لكن لم التمس الصدق في عينيها ولا بطريقة كلامها. فاليوم نحن نعيش في مجتمع لا يهتم ولا يكترث أو يحزن لفقدان المال أو الأهل، وإنما يحزن لفقدان من يحب ، كنت أرى هذا الفقدان في عينيها، كنت اشعر به تماما لكن أنكرت كل هذا، وللمرة الأخيرة أخبرتها

أنني مصمم على المحاولة بالإيقاع بها، قالت سوف يقتلك الملل ويخنقك اليأس ولن تفلح معي أبدا. ويحيك أنا استطيع وسترين. لا أريد أن أشاهد ما لا ارغب فيه، دعنا أصدقاء وان كنا أصدقاء لكن يكون هناك بروتكول بيننا صحيح.

نعم لكن أنت أخبرتني انك لا تستطيعين جبر مشاعرك على حبي، لان تلك مشاعر، ولا نستطيع التحكم فيها، وإنما نحن نحب من تميل إليه مشاعرنا، هل هذا صحيح؟

نعم صحيح وبقوة يا صديقي....

أذن كيف استطيع أن جبر مشاعري بمصادقتك، وهي تحبك فوق العادة، لن أتحمل مثلك تماما....

عاد الصمت للتخييم في سمائنا. ثم نطقت بصوت مليء بالحب.

هديل

نعم عيني.... !

أحببت الكلمة لان فيها عيون، أنا أحبها وأنا لا استطيع النظر إلا بها وعليها، وبدونها أنا ضرير البصر. وطلبت منها أن نتفاوض، وأخبرتها أنني لن ألحق بها الضرر إن لم افلح، وسوف تكون سعيدة إن أفلحت. للوهلة

الأولى من الطلب أحسست أنها موافقة، لكن هناك شيء يمنع، أو أن الموافقة ستكون قريبة، لكن أن حاربت من اجلها، سوف نتقابل وسوف أواجهها هي، وسوف تكون في صف الأعداء لأنها لا تريد ولن تريد. لا أعرف ماذا دهاني، هل أنا غير مكترث بمشاعري وبقلبي الذي سوف يتقطع معها، أو بعدها أو بتجاهلها وبتصرفاتها، التي سوف تكون بوجهي من اجل إبعادي عنها....

أنت قلت أنك مستعد لدفع الثمن مقدما، أجل أنا مستعد يا عزيزتي، انهينا جلستنا المليئة بالمكائد مني لها ومنها لي. وعرفت أن الأيام القادمة قاتلة، الأيام القادمة تحتاج إلى قلوب قوية، وتحتاج ضمائر ميتة، ولا تحتاج أي شيء من الطيب أو البراءة منها لي. لن اكترث، لن أموت ولي يوم في هذا الحياة، سوف أقاتل، وصلت إلى المنزل متعبا قلقا مريضا وبقلبي تسارع، أريد النوم، جلست إنا وذاتي، وأخبرتها بكامل التفاصيل، لم تجيب، ولن تجيب. لا اعلم ما بها، لكن أتذكر في أخر حديث لها معي، وكان قبل سبعة أشهر، لم يقع خلاف بيننا وأنا لم أقم بأية أمر ممكن آن يضايقها، أو يزعجها. خلدت إلى النوم بعد أن أخبرت قلبي بأنني لست مكترث به، إن نبض في الثانية مئة ألف نبضة.

صوت الصمت

استيقظت عصرا على صوت هاتفي لكن استيقظت متعبا على غير العادة، وبدأت بتحضير كأسا من الشاي الأخضر وعند سحبي لظرف الشاي الأخضر وجد بجانبه ظرف من الشاي الأسود، الذي أنهكه التعب، وبدا عليه القليل من الغبار، كنت أحبه، وأحسست كأنه يعاتبني ويقول هل لي ذنب بلوني أم هناك شيء يجب أن أغيره في طعمي؛ كي تعود إلى حبي أم أنت أصبحت من البشر الذين يأخذون حاجتهم من الشيء، ويرمونه بعد الانتهاء منه، أهذا رد الجميل أم نكران للحب أم هو الغدر فحسب؟ أيمكنني أن اصفق لك وأهنئك على انك أصبحت بشري؟ أو أن تسمح لي بأن اخبر أخي الأخضر، أنه سوف يكون في مكاني هذا بيوم من الأيام تباً لك.

ما بك يا صديقي أنت تتحدث معي وكأنني ملزم بك، أنا لا أريدك إلا في الصباح غير ذلك لست بحاجة لك.

إذن لماذا أنت غاضب لما فعلت الفتاة معك، هي تريدك فقط في فترة الدراسة...

إن لم تصمت ممزقتك إرباً إرباً.

ستجد أخي مكاني إن قتلتني يا صديقي البشري.

اغرب عن وجهي، لم اعد أريد الشاي الأخضر أيضا.

هل هذا وعد لن تعود للشاي الأخضر؟

بالطبع وعد

حسننا أنا احبك وتمكنت من جلب كرهك له دون أن يتحدث هذا المسكين ببنت شفة.

وهذا حالكم أنتم البشر، تسمعون الحديث عن من تحبونهم من طرف واحد، وعند الحديث عنهم وزرع الكره لهم تقومون بدون قصد برش قليل من الملح في عيونهم ووضع بعض من السم في حياتهم، ورش القليل من المنكهات على سمعتهم، لكن بدون قصد أنتم طيبون ومن نقل الحديث عنهم أطيب منكم ومنهم، شكرا له على ما اخبرني به وتباً لنا ولهم لأننا نحن من جعل الكلاب بيننا وبينهم، معظمنا يصلي خمسة فروض في المسجد، وتحسب لصديقه الذي يتحدث عنه بكل تفاهة ونذالة، أجل تحدثت أنا وظرف الشاي لكي لا يتم فهمي غلط، وان كنت قد فهمت غلط، وان ظرف الشاي الأسود هو صديقي، فأنت من البشر الذين أوقعهم الشاي بمشاكل ليست على الخاطر، ولن تحل بكأس من الشاي.

فرصة شعور

بينما كنت واضعاً سماعتي بأذني، واسمع القليل من الموسيقى التي جعلتني أحبها، كنت مرغم على سماعها، ولست من هواتها، الأغاني الحزينة الأجنبية، التي لا أفضلها، لأنها عادةً لا تحوي كلمات مهمة، وإنما أمر يروى بصوت جميل مع القليل أو الكثير من الموسيقى، التي لا نعلم من لحنها وفيها الكثير من الكلمات المحكية بلغتهم سواء كانت فرنسية أو انجليزية، لكن يقع في حبها من يعيشون حياة دون معنى إي أنهم يعدون أياما وتمضي، استمررت بالمسير والاستماع مع القليل من التفكير البعيد، أنا الآن أحبها، وطلبت منها أن تمنحني مدة من الزمن من اجل السيطرة على قلبها المتعب، لكن هل هي تستحق المحاولة أو العيش معها تحت التجربة، لماذا هي التي تمنح في مجتمعنا العربي الذي لا يرحم رجلا.

رجلٌ يحبها دون أي مقابل، لماذا لا أكون أنا القوي هذه المرة؟ لماذا امنحها دوري، وأنا على دراية تاما أنها هي اضعف إنسان قد عرفته، هي ضعيفة ويستطيع أي شخص أن يستغل قلبها، أم أنني قويتها بجناحيي، لتتمكن من هزيمتي ، وأنا لا اقبل الهزيمة، أجل أنا الآن من يمتلك الفرص، وأنا من الآن سوف امنحها الفرصة للحصول علي، إن كانت قد وافقت على تلك الفرصة، يجب عليها أن تحترم تلك المشاعر، ولن اكتفي بالتقدير، ولن اسمح لها مجددا بمحاولة هزيمتي، وإن وافقت، يجب أن

ارسم حدودا، وإن لم توافق، سوف اكتفي برسم الحدود بيني وبينها، وان لم توافق فأنا لن اخسر شيئا، ستبقى صديقتي، التي لن أتخلى عنها مهما حصل، ولن اكترث لما تقوم به بحق نفسها، فإن أخطأت سوف اكتفي بالنصيحة، ولن أرشدها بطرق الخروج من الخطأ، بل سوف أكون قاسي واسألها أين من تحبينه؟ لماذا ليس بجانبك؟ وان طلبت مني أي شيء، سوف أعطيها رقم احد أصدقائنا، واخبرها أن تطلب منه وان لم يلبيها، أنا سوف أكون معها، وألبيها، ليس ندما على العطاء السابق، لكن نحن نسعد إن قدم لنا من نحب أية هدية، أريدها أن تشعر بسعادة أكثر لا أكثر. يجب عليها أن تعي جيداً، أنني كنت معها في زمن كانت بعيني ملاك لا بشر، واليوم هي اختارت هذا الحال، ولا أريد أن أعيش دور الغادر بحبيبها، ولن أخون حبيبها، الذي أتوهمه، لكن إن وافقت، لن أتراجع في كلامي، ستكون اسعد إنسانة وبهذا تكون أخذت مني لقبين معاً، الأول اسمها في هاتفي ارق إنسانة، وسوف يؤكد لها الناس اللقب الثاني أسعد إنسانة.

أما الآن يا صديقي، فأنا أعيش معها، لست ضائع فحسب، لكني بنظرها تحت التجربة، وهي لديها الفرصة الأخيرة، لا اعلم من منا سوف ينجح بذلك الاختبار، لكن إن نجحت باختبارها لن أتراجع بأي وعد قد أطلقته لها. لن اترك حلمي يرحل، وأنا أقف مكتوف الأيدي، سأستمر بالقتال، لكن على طريقة المعارك قبل الإسلام. وهي إيقاف المعركة ليلاً

لأنني سوف أكون سعيداً بتذكر تفاصيل ابتسامتها الرقيقة قبل نومي محاولا جعلها ممثلة في حلمي.

لِقاءُ القُلوبِ

أشرقت الشمس، ونحن في الفصل الصيفي، والتخرج قد اقترب والجميع سعيد لتكليل دراسته وتعبه بالنجاح، ومكسور الخاطر على الفراق، أجل إنّنا حزينين على فراق أعدائنا الغير معروفين لدينا، قبل أصدقائنا، كنت أنا وهي، ولا أريد إي احد معنا أنا وهي، أريد أن استمع لحديثها الجميل المليء بالمسئولية، كانت قد أخبرتني، أنها كانت تحب احدهم، وهي الآن تأكدت من حبي لها. قالت لي أنت وصفتني بصفات امتلكها في داخلي، لم يجدها سواك لم يعثر عليها احد غيرك، أنا أريد منك البقاء معي، ولا أريد الأصدقاء الذين يدعون الحب، وهم يحبون فقط مفاتني، أنت أحببت قلبي، وقد عشقت عينيا. أين سوف أجد من يحب قلبي؟ لا اعلم، أنا أعدك أنّ الأيام، لن تغريني، ولن ابخل عليك بكلمة تسعد قلبك.

أنا لا امتلك شيء إلا قلبي الذي غادر من جسدي أول مرة مع صباح الخير، أتذكرين؟

أتذكر، يا من قال لست معك يا عاهد.

هل سمعتي تلك الكلمة يا ارق إنسانة

سمعتها ولم أتخيلها أبدا غزلا بل أحسست أن معها قلباً قد سقط.

لماذا لم تخبريني بهذا؟

كبريائي يا عيسى قد منعني.

أنا احبك فوق العادة يا ارق إنسانة، سنبقى سوياً حتى يرث الله هذه الأرض.

أعدك بذلك أعطني يدك.

وقلبي هل تعيدينه لي؟

لا وألف لا أنت لا تحتاج هذا القلب، أنا سوف أرعاه، فقط.

سوف أكون معك و لك.

وأنا أيضا

سنبقى معا

شعرت أننا في بعض الحالات لا نحتاج المال من اجل الحصول على ما نريد، بل إن استخدمنا أدواتنا الإنسانية سنصل نعم سنصل، فهي لا

تنتظر كلام الغزل ولا النقود ولا... بل استهوها الوصف الداخلي. وثمن هذا الوصف كان أكثر بكثير من المادة وكلام الغزل.

عقل العطاء

قبل عشر أعوام، كنت جالس بمكاني في مدرستي بمدينة لم يبقى سوى اسمها في عقول أهلها الآن، أجل قتلها الغريب بيد القريب، استخدموا كل ذكائهم الخبيث لتدميرها بسواعد أبنائها الإبطال، حمص. كان بجواري احد أصدقائي الذي رحل وترك كل شيء، أجل رحل، وبقي ما قاتل من اجله، ذهب إلى حياة لسنا فيها، وترك سيارته ومنزله وكل ما أخذه من أصدقائه تركه للأيام، وللغبار وللصدئ، وللصوص.

أعود للحديث عن ما دار بيني وبينه. فقد طلب مني قلم بقصد الإعارة، وأنا أخبرته أن قلمي هذا ثمين بمن إعطاني إياه، لكن إن كان بقصد الكتابة فقط، فسوف أعطيك القلم على أن تعيده لي بعد الانتهاء. أخذ القلم وكنت أعلم أنه لن يعيده لي، وأنه لا ينقصه المال للحصول على قلم من مكتبة المدرسة، لكن هو يريد قلمي لأنه بالمجان، وأنا لن اخسر صديقي من اجل القلم، فأنا مستعد على خسارة كل محتويات حقيبتي من اجل صديقي، وأريد من هذا الأبله أن يعلم أنني لست أحمق، لكن أنا من الناس الذين يصعب عليهم خسارة الأصدقاء، ومنذ ذلك الزمن، الذي قضيناه هناك، ونحن أنقياء، لم أرغب بتعكير صفوة هذا النقاء، فبقيت كما أنا وفيّ لكل صديق وسند له عند الضيق، لكن على هؤلاء الحمقى أن يعلموا جيداً أننا لسنا أغبياء، لكن نخاف عليهم من

الابتعاد والرحيل دون سبب أو بسبب الحاجة، وهنا تراودني بعض الأسئلة، هل يمكن لأحد الإجابة عنها:هل يمكن أن تساعد احد لا تعرفه؟هل سيقف بعد ذلك العطاء؟

التفت لصديقك وساعده عندما يكون هشاً، ودع الغريب لصديقه وهو سوف يساعده، قف خلفه عندما يكون مائلاً عندها سيستقيم، لكن لن يشكرك دع عنك الشكر وفكر بأعراف الصداقة، وإن غاب عنك ووجدته واقعاً مد تلك اليد نحوه لا تكترث، إن حاول قطعها فلديك الأخرى ستنوب عنها، ، وان وجدته مهموم اسحب ذلك الهم نحو صدرك، لا تكترث لما قد يلحق بك من ضرر، هو الآن واقفا ومستقيم وقوي وسعيد، وأنت اطلب حقك من الصداقة ولا تتغير معه أو مع غيره أنت صديق صادق، لا تحزن لندرة الوفاء في زماننا هذا فهناك الكثير من كلاب الشوارع تقوم بإطعامها لكن الكلاب تبقى كلاب شوارع ولن توفي لك، لكن أن عثر على كلب لم يكتسب من الشارع أي شيء فأنك ستنجح ف الحصول على كلب وفيّ يحرس بيتك ويبقى معك، وان احتجته سوف تجده واقف معك.

لا تعامل أصدقائك، كما تعامل إخوتك ولا تعامل أخوتك وكأنهم أصدقائك، فكل شخص له طقوسه الخاصة ويجب عليك مراعاة تلك الطقوس، لا تخرج عن المألوف ابقى كما أنت نقي أبيض، واضح صريح ولا تنتظر من احد الرد فهناك أشخاص ا الرد، وهناك من يخونه التعبير

وهناك من يرد برد جميل من الخارج وقبيح من الداخل لا أريد القول لك أن تستمر في العطاء إلى من لا يستحق، لكن قد تجد عند عطائك له سعادة، لمن تحب فلا تبخل بسعادة من تحب عبر من تكره، أو من اجل من تكره، سبب سعادة لمن تحب لا تتغير ولا تكترث بالرد، وان لم يعجبك الرد من المخلوق لن ينساك الخالق من الرد وان رد الخالق فسوف تشعر بالخجل من ما قدمته، وأنت تنتظر المقابل وأنت تعرف أن ما يقدمه الخالق للمخلوق من اجل هديه والعودة لعبادته والعيش بحياة مليئة بالسعادة، وهو يستثمر ذلك في عصيانه أو فعل ما يغضب الرحمن.

ستخجل، ستحزن، ستبقى، أعدك بذلك ودائماً لا تنسى أن تأخذ من واقعك العبر، يا صديقي، الهموم ستزول والجروح ستبرى، واليوم سيمضى ووقتك سيمرّ بحلوه ومره سيمر. لا تحزن ستنسى في لحظة كل ذلك.

الحصاد

جلسنا، قد اخبرونا بأننا أصبحنا مؤهلين للتخرج من تلك الجامعة في اليوم الخامس من شهري الحبيب، شهر إحساس غالي، أنا بحال السعيد للخلاص من التعب، الذي تسببت به تلك الجامعة وإحساس للمرة الأولى بحياتي، لم يكن غالي بل كان حزين، لفراق أشخاص تعودت على وجودهم بحياتي منهم محمود الذي كان قادر على رسم الابتسامة في وجهك وأنت في أسوء حالاتك، هو صاحب الابتسامة الجميلة، الذي يمتلك صوت لمجرد سماعه تشعر بالسعادة، كان صريح صادق لا يحب ملامح التصنع، وكان يمتلك جرأة فقد يقول لك أنت تكذب، وأنت لم تنهي حديثك إن شعر بالكذب، محمود العاشق للفتاة لا اعرف اسمها، لكن قال أنا مستعد أن أنساها اليوم أن طلبتم مني ذلك، لكن بعد أن اقطع ألسنتكم كان يحب بصدق ويعشق بواقعية لا يحب الخيال، كان أكثر من أن يتعرض للمقالب، كان معي ولم اذكر اسمه كثير بروايتي هذه، لأنه لمجرد سماعه أنني أحب تلك الفتاة، كان رافضا للفكرة ويقول أنني أجمل منها، وكنت اخبره أنا لا استطيع أن أحب أو اعشق أي فتاة أخرى، لأنني لا استطيع التحكم بمشاعري وأنا أرى الجامعة كلها محمود واحمد، وليس هناك بالجامعة فتيات غيرها.

احمد الشاب الكادح المتعب من شقاء هذا العصر، كان يحمل بحقيبته ثياب العمل، كان لا يستقر بمكان واحد كان كل ثلاث أشهر يبدل مكان العمل، ويقول سوف أتوقف عن التبديل عندما امتلك متجري الخاص، كان يحب فتاة تشبه الفتاة، التي كان يحبها عندما كان في الثامنة عشر من عمره، كنت ارفض حبه لها لكن هو ومشاعره أيضا، لا يمكن أن اختار له من يحب كان صديقي في يوم الأحد والثلاثاء والخميس، وباقي الأيام يختفي مع اللعبة التي لم اعد أطيق ذكر اسمها، كنا نجلس سويا أنا وهو عند مدخل كليتنا ولا نستطيع ربط ألسنته بالحديث عن من هو مقبل أليا أو عابرا من جانبنا، كان صديقي المقرب صديقي الذي تدور الأحاديث الثقافية عن الروايات، وكانت هناك نقاشات مؤيدة ورافضة لأسلوب الكاتب أو طريقة التشبيه، كان صديقي الذي مستعد على تقديم نفسه عوضاً عني.

انتظرت نهاية المحاضرة يومها، واتجهت لصديقتي كي اخبرها أنني سوف أتخرج بعد غد، ووجدتها أجل هي هناك تقترب من الكلية بالحلة المتعبة من حمل جهازها الكمبيوتر وحقيبتها، التي تجد بداخلها عجل لسيارة وقليل من الأوزان، التي يحملها الرياضيون بقصد تفصيل العضلات وأن حقيبتها وإن صغر حجمها، لم يقل وزنها وشعرها اليوم تبعثره الرياح ولباسها الأسود، الذي لا يمكن لا احد أن يحبه إن قامت بلبسه فتاة غيرها، أجل كما قلت سابقا الكحل تزين بعينيها الجميلة، وحركات يدها الخائفة، وصلت، وألقت التحية مددت يدي وبعيني دمعة

فرح ودمعة حزن، أخبرتها أننا سوف نتخرج يوم غدٍ، ويجب أن نسرع لجلب هذا المعطف الأسود وتجهيز أنفسنا لتخريج، أخبرتني أنها تعلم بذلك وقد حصلت على المعطف، وسوف تكون معنا في التخرج، أخبرتها أنني سعيد، لأنني سوف أراها وهي تحصل على الشهادة وقالت وأنا أيضا لم التمس الصدق ولاحظت عليها عدم تصديقي بشأن السعادة، لم ارغب بإفساد اللحظة السعيدة بالحديث عن الفراق، لكن سرعان ما قالت هل سوف نتواصل بعد الانتهاء من الجامعة هذه؟

بالطبع نحن لم نكن كما وصفنا صديقك أصدقاء جامعة، بل نحن سوف نبقى مع بعض ولبعض، سقطت الدموع دون وعي مسحت خدودها بيدي، لا يا جميلتي هذا الوقت ليس مناسب للبكاء، دعي الحزن لغيرنا، وكأن قلبي مُسك بيد احدهم وضربه بسكين، ووصلت لمرحلة السقوط لا ليس هنا وليس أمام هؤلاء الرجال، لن تسقط، ووعدتني أنها سوف تحضر، لكن طلبت مني عدم الاتصال بها، أو الاقتراب منها لان أهلها قد يأتون معها، قبلت الاتفاق.

ذهبت إلى المنزل وكنت قد اتفقت مع أصدقاء لي على لبس لون غريب، وهو اللون الذهبي، وقد قمنا بشراء تلك البدلات الرسمية، واتفقنا على أنشاء جروب لإرسال الصور مع الدفعة كاملة، ولكي نكون متميزين عن باقي الشباب. أرسلت لها صورة للبذلة الذهبية، قالت لو كان اللون أسود

لكان أجمل، لكن هذا جميل، اتصلت بالأصدقاء، أخبرتهم أنني قمت بتعديل الخطة، وسوف نلبس اللون الأسود لأسباب غير معروفة.

في الصباح دخلت المستشفى، كانت الحصى المتواجدة في الكلى قد أرهقتني وأوصلتني لمرحلة الموت، عدت للحياة بأعجوبة، يجب أن أتألم، لكن دون أخبار احد، أخذت بعضا من الإبر المسكنة للألم وعند الثالثة، أخبرت الجميع، أنني استطيع الذهاب لحضور الحفل، الذي حرمت منه منذ سنوات عديدة، اتجهت والوجهة الجامعة وبصحبتي أهلي وبعض أصدقائي، وصلت لم ترسل شيئا تلك الفتاة. هل هي بخير؟ يجب أن تكون هنا الساعة السادسة، لماذا تأخرت؟ أنني اعلم أنها واقعة بمشكلة تنفيذ الوعود، لكن يجب أن تحضر، سألت المنظمين عن اسمها، اخبروني أنها قادمة وأنها الثانية على دفعتها، سعدت جدا، هل اخبرها أم أوفي بوعدي ولا أرسل لها شيء؟ لن أرسل أنا لم أتراجع بعمري عن وعد أطلقته، لأحد فيكف وعد لها، بدأ الحفل وأهلي يرفعون أيديهم ويصفقون، وأنا ابحث عنها، لم أجدها لكن لن استسلم بالبحث عنها، ستحضر لن تخلف بوعدها اليوم بالذات، هي منتظرة اللحظة هذه منذ مدة يجب أن تحضر.

دخلنا إلى قصر المؤتمرات ومن ثم إلى مدرج التخرج، ولم تحضر سحقاً لها، جلست وعيني هنا وهناك باحثة عنها، وبدأ التخرج، ولم تأتي نعم أنا كنت استخدم أسلوب التصفيق بحرارة، لمن أحبهم وبالنظر باحثاً عنها، لمن لا اعرفهم، لم تأتي، سمعت اسمها أجل اسمها وهي الثانية على

دفعتها، ولم تخرج وها أنا اصفق واصفر واصرخ لها وحيدا، جلست والكل ينظر إلي، لم اخجل ولم اندم قد عشت الفرحة، وتخيلتها أمامي تصافح عميد جامعتنا الحبيبة، وها هي الآن، تأخذ الصور، وها هي عائدة إلينا، ومعها بطاقة التخرج وها هي تجلس مكانها نظرت إلي وقالت شكراً.

أخبرتها أنني سوف اخبرها بما حصل قالت لا تنسى شيء أرجوك. وصل القارئ إلى اسمي اسمع صوت أهلي والفرحة، وأمامي الكثير من الحضور، لن أجدها، أجل انتهت الفرحة الحزينة بخير، وأنا بطريق العودة أشاهد اتصالها.

أهلا لماذا لم تأتي، وكأنني سمعت صوت بكاء، ما بك، لماذا تبكي ولماذا لم تأتي؟

بصوت مخنوق، تقطعت معه شرايين قلبي، لقد تأخرنا لقد وقع حادث، ولم استطيع الخروج من تلك المشكلة إلا بعد مرور ساعتين، وكان قد انتهى الاحتفال.

أخبرتها أنني صفقّت لاسمها وصرخت باسمها، ولم اخبرها أن خيالها رسم أمامي وأوهمني أنها هي، لكن قلبي قرر تعويضها بأجمل من ذلك.

نعم اتفقنا أن نعمل حفلا خاصا بها وأجمل من حفلنا كله، وباليوم التالي جهزنا لها مفاجئة خاصة بها هي وسوف تكون بطلتها. قمنا أنا

وأصدقائي بدعوتها لاحتساء القهوة معنا، وكنا قد رتبنا أنا واحمد ورحاب وصديقة رحاب التي لا اذكر اسمها، وقد جلبنا لها قالب من الكيك مع القليل من الشموع وعلى أنغام أغنيتها المفضلة، بدأت المفاجئة وانفجرت تلك الدمعة، التي لم تستطيع هي أن تسيطر عليها، وعند محاولتها إطفاء الشموع تدلى شعرها، أنا من سوف يرفع شعرك، ولن أخاف ردة فعلك، رفعت شعرها الذي بدا لي انه قطعة من الحرير، وأن كلمة شعر قد تكون شتيمة لذلك الحرير المتدلي على أكتافها، كانت كما طلبت بدون أي شيء على وجها بدون الكحل وغيره، أجل أنا لا اكترث لتلك المواد فأنت لا تحتاجين لمواد تزيدك جمالا، أنت بحاجة لشيء يخفي جمالك أو تخفف من شدة جمالك رأفة بحال الشباب، أجل يا من استقرّيت بين ضلوعي، أنا أعدك أنني لن أتخلى عنك، وسوف أكون معك وأمنعك من السقوط أنا احبك وكفى، ونحن نعيش اليوم سويا، والمكان ممتلئ بالورود والمحبة، نحن الآن سويا، وسنبقى سويا، وان تعثر احدنا، امسك به الآخر لن نحتاج لأحد غيرنا، شكرا للأيام التي ما زالت تعلمني، أن الحياة غير موجودة بدون أناس يحبوننا ونحبهم.

المُحتَوَيَاتْ

صباح جديد..... 5

رفيف الأماني ؛العَلَمْ..... 15

يوم ميلادي الحقيقي 17

عيسى في الحياة 32

عيسى مع الجامعة..... 47

العدو يصبح معشوق..... 65

الرهان..... 76

العطر..... 79

عودتي..... 82

ابتسامة..... 85

عودة الروح المسلوبة 90

كسب الرهان..... 94

واحد لاتيه 96

العودة أم الرأفة..... 98

صغيرة 103

اقترب الهروب 107

الجلسة الاولى..... 110

اعترافات أم كذب أبيض..... 114

قرار البقاء القاسي..... 118

صوت الصمت 123

فرصة شعور..... 125

لقاء القلوب..... 128
عقل العطاء..... 131
الحصاد..... 134

أصيبتها فوق العادة